ضَوَابِطُ وَآدَابُ

الجِدَالِ وَالمُنَاظَرَاتِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ

وحكم الخصومات في الدين وبِذْيِلِه

دُرَرٌ مُنْتَقَاةٌ نَافِعَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ بَطَّةَ في الجدال والمناظرة والفرقة والإختلاف

مَا خَاصَمَ وَرِعٌ قَطُّ فِي الدِّينِ

دار علوم السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

ضَوَابِطُ وَآدَابُ

الجِدَالِ وَالمُنَاظَرَاتِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ

وحكم الخصومات في الدين

وَبِذَيْلِهِ

دُرَرٌ مُنْتَقَاةٌ نَافِعَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ بَطَّةَ في الجدال والمناظرة والفرقة والإختلاف

هذه رسالة مختصرة وموجزة في آداب وضوابط الجدال والمناظرة جمعتها على عجل مما استفدته في الطلب

ونشرها في هذا الوقت راجع لما عمت به البلوى بين المسلمين من أمر الخوض والخصومة بلا ضوابط ولا آداب ولعظم ما تجر هذه الأشياء من مفاسد وبلايا على المسلمين وصدق البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عندما ألحق كل بلية ومحدثة بالخصومة والجدل**

١. قال البربهاري: **ماكانت قط زندقة ولابدعة ولاهوى ولاضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء** .

٢. وروى **الآجري (١٢٤)** عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ: **مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَى الْأَهْوَاءِ ؟ قَالَ : الْخُصُومَاتُ** .

فلا شك أن الخصومة تهيج أبواب الشر كلها

٣. **جاء في «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (٢/ ٥٣٣):** عن علي عبد العزيز بن الماجشون قال: " احذروا الجدل ، **فإنه يقربكم إلى كل موبقة ، ولا يسلمكم** إلى ثقة ، ليس له أجل ينتهى إليه ، وهو يدخل في كل شيء ، فاتخذوا الكف عنه طريقا»

فصل في

نشأة الخصومات والجدال المذموم

١. **قال البربهاري** وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس، ومن فوقه، ومن دونه إلى يومنا هذا، وقول الله أكبر من قول الخلق، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [سورة غافر:٤](١)

٢. **قال الأوزاعي** المنازعة والجدال في الدين **محدث**

٣. وقال السمعاني **وإنما ظهرت المجادلات في الدين والخصومات بعد مضي قرن التابعين ومن يليهم** حين ظهر الكذب وفشت شهادات الزور وشاع الجهل واندرس أمر السنة بعض الاندراس وأتى على الناس زمان حذر منه النبي ﷺ والصحابة من بعده»(٢)

---

(١) «شرح السنة للبربهاري» (ص١٢٧)

(٢) «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص١٨)

٤. **وقال عبد الرحمن بن مهدي:** أدركت الناس وهم على الجملة_يعني لا يتكلمون ولا يخاصمون

٥. **وجاء في «سير السلف الصالحين – قوام السنة» (٣/ ١٠٤٦):** «وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: **لَيْسَ الْجِدَالُ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ**

٦. **قال أبو عبد الله ابن بطة "لم أر الجدال من سـيـر السـلـف** ولا من شـيمة المرضـيين من الخلف وإنما هو لهو يتفكه به ونقض لعقدة الإجماع وتوليد للشحناء أعاذنا الله من مجالسة أهله "

٧. **وجاء في «بيان فضل علم السلف على علم الخلف»** ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصـام والمراء في مسـائل الحلال والحرام أيضـاً ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسـلام: وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقين في مسـائل الخلاف بين الشـافعية والحنفية وصـنفوا كتب الخلاف ووسـعوا البحث والجدال فيها وكل ذلك محدث ل أصل له وصار ذلك علمهم حتى شغلهم ذلك عن العلم النافع.

وقد أنكر ذلك السـلف وورد في الحديث المرفوع في السـنن) ما ضـل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجـدل ثم قرأ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سـورة الزخرف:٥٨] (وقال بعض السـلف إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل

وقال مالك أدركت أهل هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم: يريد المســائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم أحدهم كأنه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا بهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [سورة الإسراء:٨٥].

فلم يأته في ذلك جواب. وقيل له الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبل منه وإلا سكت: وقال المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم وقال المراء في العلم يُقسي القلب ويورث الضعن: وكان يقول في المسائل التي يسئل عنها كثيراً لا أدري: وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المســائل وعن أغلوطات المســائل وعن المســائل قبل وقوع الحوادث وفي ذلـك مـا يطول ذكره: ومع هـذا ففي كلام الســلف والأئمـة كمالـك والشــافعي وأحمد وإســحاق التنبيه على مأخذ الفقه ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر ـ يفهم به المقصــود من غير إطالة ولا إســهاب: وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للســنة بألطف إشــارة وأحســن عبارة بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما لم يتضــمن تطويل كلام من بعدهم من الصــواب في ذلك ما تضـمنه كلام السـلف والأئمة مع اختصـاره وإيجازه فما سـكت من سـكت من كثرة الخصـام والجدال من سلف الأمة جهلا ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله. وما تكلم من تكلم وتوسـع من توسـع بعدهم لاختصـاصـه بعلم دونهم ولكن حباً

للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسمع قوما يتجادلون هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا

نصوص وآثار للسلف

في النهي عن الجدل والخصومة والمراء

إن من أصول السنة المتفق عليها ترك الخصومة والجدال الباطل فلن يكون المسلم على السنة المحضة حتى يترك الجدل والمناظرة مع أهل البدع والأهواء

١ . كما قال الإمام أحمد في أصـــول الســـنة (ص٢١) لا يكون صَــاحبه [أي الجدال] وَإِن أَصَاب بِكَلاَمِهِ السّنة من أهل السّنة حَتَّى يدع الْجِدَال ويؤمن بالآثار

ومن أشـد الآيات على المجادل في الدين والمناظر في ذلك فيما قال السـلف قوله تعالى { مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } [سورة غافر:٤] .

ومن أشـد الأحاديث ما روي عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ (الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كفر) (١)

٢ . وروى ابن أبي عاصم في السنة (١٠١) بسند لابأس به عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجِدَالَ » ، ثُمَّ قَرَأَ {وَقَالُوٓاْ

(١) [رواه الحاكم (٢/ ٢٢٣) وأحمد (٢/ ٢٥٨) وابن حبان (١٤٦٢)]

ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾} [سورة الزخرف:٥٨-٥٩].

٣. وما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **قَالَ** (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) فدل على أن أحد أسباب هلاك الأمم السابقة الكلام والخصومات والجدل .

٤. وجاء في ﴿صحيح البخاري﴾ (٤/ ١٦٤٤ ت البغا): عن عائشة ترفعه قال: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)

٥. ومن أشد ما روى عن الأمم السابقة ما رواه الآجري في الشريعة (١٢٢)

عَنْ خُصَيْفٍ ، قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ يَا مُوسَى لَا تُخَاصِمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَا مُوسَى لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، **فَيَقَعَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ ، فَيُرْدِيَكَ فَيُدْخِلَكَ النَّارَ**

ولقد تواترت الآثار عن السلف في شدة النهي عن الجدل والخصومات والمناظرات بإطلاق دون تفصيل أو شرط ومن ذلك :

١ . روى الهروي في ذم الكلام (٧٨٥) عَنْ أَبِي إِيَاسَ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ سَمَّاهُ ابْنُ يَعْقُوبَ قَالَ : **الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ**)

٢ . روى بن أبي الدنيا في الصمت (ص١١٦) : قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل**"

٣ . روى ابن الجوزي في سيرة عمر (ص٢٩٣) أن عمر ابن عبد العزيز قال: "**احذروا المراء فإنه لا تؤمن فتنته ولا تفهم حكمته**" .

٤ . وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٥) عن إسحاق بن عيسى قال: " سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ " .

٥. وروى الآجري في الشريعة (١١٨) عَنْ هِشَامٍ ابْنَ حَسَّانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي ، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ)

٦. أخرج أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٤) عن الشافعي قال: "كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بيّنة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ فخاصمه".

٧. وأخرج ابن بطة في الإبانة لابن بطة (٥٣٩/٢) عن عبيد الله بن حنبل قال : حدثني أبي قال : سمعت أبا عبد الله يقول: عليكم بالسنة والحديث وينفعكم الله به ، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام ، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة ، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال ، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا ، ويجانبون أهل الكلام ، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة ".

٨. وروى الخلال في السنة (١٧٩٣) قال : وَأَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ الْمُطَوِّعِيُّ، قَالَ: حَضَرْتُ بَابَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ وَانِ الْقُطْنِ، فَقَالُوا:

إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِهِ مَذْهَبُ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَقَالَ: إِنَّهُ مَا قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَأَنَا أَصِيرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «جِيئُوا بِهِ» فَجَاءَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ أَحْمَدُ: « مَا لَكُمْ وَلِلْجَدَلِ ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْكَلَامِ ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْخُصُومَةِ ؟ » ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، تَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَعَنِ الْخُصُومَةِ. فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ : إِنَّ هَذَا السَّاعَةَ يَذْهَبُ فَيَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَنَهَانِي عَنِ الْجِدَالِ ، وَالْكَلَامِ وَالْخُصُومَةِ ، وَيَسْكُتُ عَلَى الشَّكِّ ، فَقَالَ أَحْمَدُ : مَنْ شَكَّ فَهُوَ كَافِرٌ)

٩. **وروى الآجري في الشريعة (١١٤)** أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: " **لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**)

١٠. **وروى الآجري أيضا (١١٧)** عن مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ : انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ , فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ : فَإِنْ غَلَبْتَنِي ؟ قَالَ : إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ : فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا ؟ قَالَ : نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : **مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ**)

١١. وروى الآجري (١٢٣) عن عَبْدَ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيَّ يَقُولُ: (**مَا خَاصَـــمَ وَرِعٌ قَطُّ فِي الدِّينِ**)

١٢. وجاء عن إبراهيم الخواص فقد ثبت عنه فيما رواه أبو بكر المقرئ في جزء أحاديث في ذم الكلام (ص٩٠) ونصر.المقدسي في كتاب الحجة (ص١٩١) قال :(مَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ وَلَا كُفْرٌ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا جُرْأَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْعُجْبِ وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَاللَّهُ يَقُولُ: {مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} [سورة غافر:٤]

١٣. وروى البُخَـارِيّ فِي التَّـارِيخ الْكَبِير (٢/٢٣٥) والهروي في ذم الكلام (٥٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالَ (بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فَكَانَ النَّاسُ فِي شَرِيعَةِ نُوحٍ فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا الزَّنْدَقَةُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُوسَـــى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فَكَانَ النَّاسُ فِي شَرِيعَةٍ فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا الزَّنْدَقَةُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فَمَا أطفأها إِلَّا الزندقة

١٤. روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٥٩٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ «لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَـأَ فِيهِمْ أَبْنَاءُ سَـبَايَا الْأُمَمِ , فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»

١٥. وروى الهروي في ذم الكلام (٧١٤) بسند ضعيف عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ {وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا} [سورة الأنعام:٦٨] قَالَ (هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ وَالْمِرَاءِ فِي دين الله)

١٦. وعن عمر بن عبد العزيز قال : من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.[١]

١٧. وعن معاوية بن قرة قال : الخصومات في الدين تحبط الأعمال .[٢]

١٨. وروى عبد الله في السنة (٩٧) قَالَ رَجُلٌ لِلْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ : مَا حَمَلَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : **الْخُصُومَاتُ** .

١٩. وجاء في «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (٢/ ٥١٩): عن ابن عباس ، قال:

ما اجتمع رجلان يختصمان فافترقا حتى يفتريا على الله عَزَّوَجَلَّ

---

[١] [رواه الدارمي (٣١٠) واللالكائي (٢١٦) وابن بطة (٥٤٤)]

[٢] [عبد الله (٩٨) اللالكائي (٢٢١) وابن بطة (٥٤١)]

٢٠. وروى عبد الله في السـنة (٩٩) قَالَ أَبُو قِلَابَةَ وَكَانَ أَدْرَكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ » أَوْ قَالَ (أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ) فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ

٢١. وروى الهروي في ذم الكلام (٤/٣١٢) **عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ** فِي قَوْلِهِ {إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ} [سورة الأنعام:١٥٩] قَالَ : **هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ والمراء فِي دين اللّٰه**

٢٢. وعن العوام بن حوشب : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله عَزَّوَجَلَّ: {فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ} [سورة المائدة:١٤] قال : **أغرى بعضهم ببعض في الخصومات والجدال في الدين**.

(١)

٢٣. وجاء في الإبانة (٢/ ٣/ ٥٢٤/ ٦٣٠) قال أبو بلال القسملي : سألت أنس بن مالك : هل كان أصحاب رسول الله – ﷺ – يذكرون القدر ؟ قال : إنه لم

(١) [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٣/ ٥٠٠/ ٥٥٨) وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٢).]

يك شيء أكره إليهم من الخصــومات ، وكانوا إذا ذكر لهم شيء من ذلك نفضــوا أرديتهم وتفرقوا .

٢٤. وجاء في الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٥١٨): كان الحسن " ينهى عن الخصومات في الدين ، وقال: **إنما يخاصم الشاك في دينه** "

٢٥. وجاء في «الانتصـار لأصـحاب الحديث» (ص١٦): وقد جاء في تفسـير قوله تعالى { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ } [سورة آل عمران:٧] يعني حب الجدل

٢٦. قال الأوزاعي المنازعة والجدال في الدين **محدث**

٢٧. وجاء في «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (ص٢٧٥): عَنِ ابْنِ شِـهَابٍ قَالَ: «لَا تُنَاظِرْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَلَا بِكَلَامِ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ» يَقُولُ: «لَا تَنْتَزِعْ بِكَلَامٍ يُشْبِهُهُ»

٢٨. وجاء في «ترتيب المدارك وتقريب المســالك» (٢/ ٣٩): قال الهيثم بن جميل قيل لمالك: الرجل له علم بالســنة يجادل عنها؟ قال لا. لكن يخبر بالســنة. فإن قبل منه وإلا سكت»

٢٩. وجاء في «سـير السـلف الصـالحين - قوام السـنة» (٣/ ١٠٤٦): «وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: **لَيْسَ الْجِدَالُ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ**

٣٠. وجاء في «ذم الكلام وأهله» (٥/ ١٥٥): عبد الله بن أَحْمد ابْن شَــبُّوَيْهِ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي مَرْيَمَ يَقُولُ سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ (**بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ وَمَا نَازَعْتُ صَاحِبَ هَوًى قَطُّ**)

فترك الخصومة والجدال من المناقب عند السلف

٣١. وجاء في «الســنة لأبي بكر بن الخلال» (٥/ ١٣٢): وَأَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ الْمُطَوِّعِيُّ، قَالَ: حَضَرْتُ بَابَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ وَانِ الْقُطْنِ، فَقَالُوا: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِهِ مَذْهَبُ ابْنِ الْأَشْــعَثِ، وَقَالَ: إِنَّهُ مَا قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَأَنَا أَصِــيرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «جِيئُوا بِهِ» . فَجَاءَ الرَّجُلُ، فَقَالَ أَحْمَدُ: «مَا لَكُمْ وَلِلْجَدَلِ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْكَلامِ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْخُصُــومَةِ؟» ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، تَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ وَعَنِ الْكَلامِ وَعَنِ الْخُصُــومَةِ. فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ

جَاءُوا بِهِ: إِنَّ هَذَا السَّـاعَةَ يَذْهَبُ فَيَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَنَهَانِي عَنِ الْجِدَالِ، وَالْكَلَامِ، وَالْخُصُومَةِ، وَيَسْكُتُ عَلَى الشَّكِّ، فَقَالَ أَحْمَدُ: «مَنْ شَكَّ فَهُوَ كَافِرٌ»

٣٢. وجاء في «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٢٠١): قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ غَالِبٍ الْوَرَّاقُ: قُلْت لِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ لَيْسَ فِيهِ مَنْ يَعْرِفُ السُّنَّةَ غَيْرِي، فَيَتَكَلَّمُ مُتَكَلِّمٌ مُبْتَدِعٌ أَرُدُّ عَلَيْهِ قَالَ: لَا تَنْصِبْ نَفْسَكَ لِهَذَا، أَخْبِرْ بِالسُّنَّةِ وَلَا تُخَاصِمْ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ. فَقَالَ: مَا أَرَاك إلَّا مُخَاصِمًا»

٣٣. وجاء في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ٤٣ ت الفقي): عن ابنِ بَطَّةَ قَالَ: سمعت البربهاري يقول: **المجالسة للمناظرة تغلق باب الفائدة**

٣٤. وجاء في ﴿سـير أعلام النبلاء - ط الحديث﴾ (٩/ ٤٧٠): يقول أبو عثمان الجوعي "**إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُخَاصِمُ، فَهُوَ يُحِبُّ الرِّئَاسَةَ**"

٣٥. وجاء في ﴿مسـاوئ الأخلاق للخرائطي﴾ (ص٢٦٣): عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: **إذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِنَفْسِـهِ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ**

٣٦. **قال أبو عبد الله ابن بطة "** لم أر الجدال من سـير السـلف ولا من شـيمة المرضـيين من الخلف وإنما هو لهو يتفكه به ونقض لعقدة الإجماع وتوليد للشـحناء أعاذنا الله من مجالسة أهله "

٣٧. **قال الإمام عمر_بن_عبدالعزيز :** احذر المراء(يعني الجدال والنقاش) **فإنه لا تُؤمنُ فتنته ، ولا تُفْهَمُ حكمته ...!**

٣٨. **قال الحافظ سـفيان_بن_عيينة** :دعوا المراء (يعني الجدال والنقاش) لقلةِ خيره

٣٩. **وجاء في مكارم الأخلاق للخرائطي (٤٠٤)** قال لقمان لابنه: من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المراء يُشتَم

٤٠. **قال البربهاري:** والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصـومة والجدال والله تعالى يقول: {ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا} فعليك بالتسـليم والرضى بالآثار، وأهل الآثار، والكفِّ والسكوت

٤١. **وقال عمر بن عبدالعزيز: إذا سمعتَ المِرَاء فأَقْصِر.**

٤٢. و**قال الآجري** من صفة الجاهل: الجدل المِراء المُغالبة

ومن صفة العالم: العقل المناصحة في المناظرة طلب الفائدة لنفسه ولغيره

٤٣. **قال الحسن البصري "رحمه الله":** "المؤمن لا يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله "عزَّ وجلَّ" فإن قبلت حمد الله "عزَّ وجلَّ" وإن رُدت حمد الله "عزَّ وجلَّ" وعلا.

٤٤. **جاء عند ابن جرير ٩/ ٣١٤، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨٤ عن أبي جعفر [محمد بن علي]-من طريق ليث- قال:** لا تُجالِسوا أهل الخصومات؛ فإنّهم الذين يَخُوضون في آيات الله

فلو قال قائل

كيف الجمع بين النصـوص الواردة في ذم الجدال ذما شـديدا وهي كثيرة جدا في القرآن والسنة وآثار السلف الكرام وبين غيرها التي جاء فيها إباحتها

فالجواب عليه

أن الجدال الوارد ذمه في الكتاب والسـنة والآثار يرجع إلى أبواب معينة وإلى أحوال معينة فمن الأبواب التي ذم السلف فيها الجدال وعقد المناظرات

الأبواب المتعلقة

في القدر وصفات الله تعالى والإعتقاد فهذه الأمور لا جدال فيها لأن الحق فيها واضح والمرء إذا أراد معرفة الحق فعليه أن يسأل ويتعلم وليس عليه أن يجادل

بخلاف مسائل الفروع ودقائق مسائل الفقه فهذه يعتريها الخطأ فيحصل الجدال إبتغاء الحق وتنقيحا لأفهام الرجال وقد نص غير واحد على هذه العلل المذكورة

١. **جاء في «صحيح البخاري» (٣/ ١١٩٤ ت البغا):** قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رسول الله ﷺ: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)

٢. **جاء في «الأسماء والصفات - البيهقي» (٢/ ٢٠):** عن سَعِيدَ بْنَ إِشْكَابَ الشَّاشِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ بِنَيْسَابُورَ عَنِ اللَّفْظِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: **لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنَاظَرَ فِي هَذَا،** الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ»

٣. **قال البربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه [عند] جميع الفرق ، لأن القدر سر الله ونهى الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأنبياء عن الكلام في القدر ونهى رسول الله ﷺ عن الخصومة في القدر[وكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون] وكرهه العلماء وأهل الورع .

ونهوا عن الجدال في القدرفعليك بالتسليم والإقرار والإيمان ، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء وتسكت عما سوى ذلك

• وكذلك جاءت الآثار الكثيرة في النهي عن الجدال في الصفات

١. رُوي في التحذير من الكلام في ذات الله والتفكر في ذلك عدة آثار ومنها :

ما جاء عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أنه قال:** (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عَزَّوَجَلَّ فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام والله عَزَّوَجَلَّ فوق ذلك) [١]

---

[١] [صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (١٦) والأصبهاني في الترهيب والترغيب (٢/١٧٣) وأبو الشيخ في العظمة (١/٢١٢) والبيهقي في الصفات (٨٨٧) وابن بطة في الإبانة (١/١١٨)]

٢. **وقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ**: كَانَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ يَقُولَانِ: أَمِرُّوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ **وَلَا تَتَنَاظَرُوا فِيهَا**

٣. **وجاء في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٤٢ ت الفقي)**: والقرآن كلام اللَّه وليس بمخلوق ولا يضعف أن يقول ليس بمخلوق وأن كلام اللَّه ليس ببائن منه وليس شيء منه مخلوق **وإياك ومناظرة من أحدث فيه**

٤. **وجاء في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٢٨)**:«وَنَهَى السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **عَنِ الْجِدَالِ فِي اللَّهِ** جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَفِي صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ

٥. قال الصابوني **ويتقون الجدال في اللّه والخصومات فيه**

٦. **وروى الهروي في ذم الكلام (٩٣٦)** عن شُعْبَةَ قال : كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : يَبْغَضُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَيَنْهَى عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَشَدَّ النَّهْيِ وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْأَثَرِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَلَامَ فِي ذَاتِ اللَّهِ .

٧. **وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٢٨)** عن أَبِي نُعَيْمٍ الْفَضْلَ بْنَ دُكَيْنٍ يَقُولُ: « أَدْرَكْتُ النَّاسَ مَا يَتَكَلَّمُونَ فِي هَذَا، وَلَا عَرَفْنَا هَذَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ سِنِينَ ، الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لَا يَئُولُ إِلَى خَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، هَذَا الَّذِي لَمْ نَزَلْ عَلَيْهِ وَلَا نَعْرِفُ غَيْرَهُ » قَالَ : وَسَمِعْتُ شَرِيكًا يَقُولُ : « كُفْرٌ بِاللَّهِ الْكَلَامُ فِي ذَاتِ اللَّهِ»

٨. **وقد نبه الإمام مالك أن الكلام في ذات الله محدث وهذه بعض نصوصه:أخرج الهروي في ذم الكلام (٢٠٧ - ٢٠٨) وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧) من طريق عبد الرحمن بن مهدي قال** : دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد : لعن الله عمرا ، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل. [(١)]

٩. **وجاء في ذم الكلام (٢٠٧)** عن أشهب بن عبد العزيز قال : سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان) .

[(١)] [ولابن الماجشون كلام متين في رد شبهة التفكر في ذات الله ، موجود نصه في السير (٧/ ٣١١) ونقلناه في عقيدته التي نشرناها في القناة]

١٠. **وفي السير (١٠/ ٣١ – ٣٢)** عن المزني قال قلت : إن كان أحد يخرج ما في ضـميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشـافعي فصرت إليه وهو في مسجد مصر ـ فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدا لا يعلم علمك فمن الذي عندك؟ فغضب ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت نعم قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون ، أبلغك أن رسول الله – ﷺ – أمر بالسؤال عن ذلك، قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا، قال: تدري كم نجما في السماء؟ قلت : لا قال: فكوكب منها تعرف جنسه طلوعه أفوله مم خلق ؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ، ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أصب في شيء منه ، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [سورة البقرة:١٦٣-١٦٤] فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك قال : فتبت

١١. **وَقَالَ إِسْحَاق ابن راهويه :** لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في فعل المخلوقات، لقوله: { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ } [سورة الأنبياء:٢٣]

ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصــفاته وفعاله بفهم ما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين ، وذلك أنه يمكن أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ موصــوفا بالنزول كل ليلة ، إذا مضى ثلثها إلى السماء الدنيا كما يشاء ، ولا يسأل كيف نزوله ؟ لأن الخالق يصنع ما شاء كما يشاء .. [(١)]

١٢ . **وقال ابن راهويه أيضــا :** ولا يجوز التفكر في الخالق ، ويجوز للعباد أن يتفكروا في المخلوقين بما ســمعوا فيهم ، ولا يزيدون على ذلك ، لأنهم إن فعلوا ذلك تاهوا . [(٢)]

١٣ . **وقال ابن رجب في بيان فضــل علم الســلف (ص٣) :** ومن ذلك أعني محدثات الأمور : ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله وصفاته بأدلة العقول ، وهو أشـــد خطرا من الكلام في القدر ، لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته .

قلت : فهذه الأبواب الجدال منهي فيها

---

(١) [السنة للكرماني (٣٥٥) ذم الكلام (ص.٢٦١)].

(٢) [السنة لحرب (٤٣٤)]

وكذلك الجدال ينهى عنه مع **أشخاص** ومنهم

١- أهل البدع كما قال الشـــافعي وهو معروف بالمناظرات

١. **جاء في «مناقب الشـافعي للبيهقي» (١/ ١٧٥):**«أحمد بن خالد الخلال، يقول: ســمعت الشـافعي، يقول: **ما ناظرت أحداً علمت أنه مقيم على بدعة**

٢. وجاء عن الزَّعْفَرَانِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: **مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا فِي الْكَلَامِ إِلَّا مَرَّةً، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ**

وحكمهم عند الشافعي

٣. **جاء عن الشَّـافِعِيَّ، يَقُولُ:** حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الإِبِلِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ

٤. **وجاء في «ذم الكلام وأهله» (٥/ ١٥٥):** عبد الله بن أَحْمد ابْن شَبُّوَيْهِ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي مَرْيَمَ يَقُولُ سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ **﴿بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ وَمَا نَازَعْتُ صَاحِبَ هَوًى قَطُّ﴾**

٥. **قال سـلام بن أبي مطيع :** إن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر ! أسألك عن كلمة ، قال أيوب وجعل يشير بأصبعه : **ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة**.[1]

٦. **وجاء في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣٧):** عن محمد بن إبراهيم البُوشَنْجى، قال: حَدثنى بعض أصحابنا، أن ابن أبى دُؤاد أقبل على أحمد يُكلمه، فلم يلتفت إليه أحمد، حتى قال المعتصم لأحمد: ألا تُكلم أبا عبد الله؟ فقال أحمد: **لستُ أعرفه من أهل العلم فأكلمه!**

٧. **وجاء في «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٥٣٩):** عن أبو الحارث قال: سألت أبا عبد الله فقلت: إن ههنا رجلا يناظر الجهمية ، ويبين خطأهم ، ويدقق عليهم المسائل فما ترى؟ قلت: " لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحد أن يناظرهم ، أليس قال معاوية بن قرة: «الخصومة تحبط الأعمال ، والكلام الرديء لا يدعو إلى خير لا يفلح صاحب كلام ، تجنبوا أصحاب الجدال والكلام ، عليكم بالسنن ، **وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام ، والخوض في أهل البدع ، والجلوس معهم ، وإنما**

[1] [رواه إبراهيم الحربي في رسالة القرآن (٨) وعبد الله في السنة (١٠١) والفريابي (٣٧٤) والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٤٤٢) والدارمي في السنن (١/ ١٢١) والآجري (صـ ٦٢)]

السـلامة في ترك هذا ، لم نؤمر بالجدال ، والخصـومات مع أهل الضلالة ، فإنه سلامة له منه

٨. **وجاء في «شرح السنة للبربهاري» (ص١٢٤):** وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السـنة قبلك فاحذر الكلام، وأصـحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، **والمناظرة في الدين، فإن [اسـتماعك] منهم - وإن لم تقبل منهم - يقدح الشـك في القلب**، وكفى به قبولا [فتهلك]، وما كانت زندقة قط، ولا بدعة، ولا هوى، ولا ضـلالة، إلا من الكلام، والجدال، والمراء، والقياس، [وهي] أبواب البدعة، والشكوك والزندقة»

٩. **قال الصـابوني** فهم يبغضـون أهل البدع، ولا يحبونهم؛ لمخالفتهم للسـنة، ولا يتخذونهم أصحاباً، ولا يسمعون كلامهم، **ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين؛ خشـية إثارة الشـبه، ولا يناظرونهم، ويرون صـون آذانهم عن سماع أباطيلهم**

١٠. **وجاء في «الانتصـار لأصـحاب الحديث» (ص١٦):** واعلم أنك متى تدبرت سـيرة الصـحابة ومن بعدهم من السـلف الصـالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي»

لأن المبتدع لا يرجع في الغالب

١. **جاء في «الاعتصام» (١/ ١٦٣):** عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " اثْنَانِ لَا نُعَاتِبُهُمَا: صَاحِبُ طَمَعٍ، وَصَاحِبُ هَوًى، فَإِنَّهُمَا لَا يَنْزِعَانِ.

٢. وجاء في «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٥٩): قَالَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ وَغَيْرُهُ: إنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا يَرْجِعُ»

ومنعا لشهرتهم

١. **جاء في «الشريعة للآجري» (١/ ٤٥٢):**«عَنْ أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ: لَسْتُ بِرَادٍّ عَلَيْهِمْ ، أَشَدُّ مِنَ السُّكُوتِ»

٢. **وجاء في «صحيح مسلم» (١/ ٢٢ ط التركية):** إِذِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُطَّرَحِ أَحْرَى لِإِمَاتَتِهِ وَإِخْمَالِ ذِكْرِ قَائِلِهِ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِلْجُهَّالِ عَلَيْهِ»

٣. **وجاء في «الشريعة للآجري» (١/ ٤٥١):** فَإِنْ قَالَ: فَنَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسْكُتُ عَنْهُمْ؟

قِيلَ لَهُ: سُكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهِجْرَتُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ لَهُمْ كَذَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ»

٤. **وجاء في «شرح أصــول اعتقاد أهل السـنة والجماعة» (١/ ١٩):**«فَمَا جُنِيَ عَلَى الْمُسْـلِمِينَ جِنَايَةٌ أَعْظَمُ مِنْ مُنَاظَرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ أَعْظَمَ مِمَّا تَرَكَهُمُ السَّلَفُ عَلَى تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَمُوتُونَ مِنَ الْغَيْظِ كَمَدًا وَدَرَدًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى إِظْهَارِ بِدْعَتِهِمْ سَبِيلاً، حَتَّى جَاءَ الْمَغْرُورُونَ فَفَتَحُوا لَهُمْ إِلَيْهَا طَرِيقًا، وَصَـارُوا لَهُمْ إِلَى هَلَاكِ الْإِسْـلَامِ دَلِيلاً، حَتَّى كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُشَـاجَرَةُ، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمُنَاظَرَةِ، وَطَرَقَتْ أَسْمَاعَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَرَفَهَا مِنَ الْخَاصَّـةِ وَالْعَامَّةِ، حَتَّى تَقَابَلَتِ الشُّبَهُ فِي الْحُجَجِ، وَبَلَغُوا مِنَ التَّدْقِيقِ فِي اللُّجَجِ، فَصَـارُوا أَقْرَانًا وَأَخْدَانًا، وَعَلَى الْمُدَاهَنَةِ خِلَّانًا وَإِخْوَانًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي اللَّهِ أَعْدَاءً وَأَضْدَادًا، وَفِي الْهِجْرَةِ فِي اللَّهِ أَعْوَانًا، يُكَفِّرُونَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ عِيَانًا، وَيَلْعَنُونَهُمْ جِهَارًا، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ الْفِتْنَةِ فِي أَدْيَانِنَا، وَأَنْ يُمَسِّكَنَا بِالْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَعْصِمَنَا بِهِمَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ»

ولا يوجد ضلالة إلا وعليها زينة

١. كما جاء في «الإبانة الكبرى - ابن بطة» **(٢/ ٤٦٢):**عن سـفيان الثوري ، يقول: ما من ضلالة إلا ولها زينة ، فلا تعرض دينك إلى من يبغضه إليك»

٢. وجاء في «البدع والنهي عنها» (ص١٠٦):عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ: «لَا تُمَكِّنُوا صَاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ جَدَلٍ؛ فَيُورِثَ قُلُوبَكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ ارْتِيَابًا»

٣. **وجاء في «الجامع – معمر بن راشـد» (١١/ ١٢٥)**:عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ طَاوُسٍ، وَعِنْدَهُ ابْنٌ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: صَـالِحٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ فَتَكَلَّمَ بِشَيْـءٍ فَتَنَبَّهَ، فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ إِصْـبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: «أَدْخِلْ أَصَـابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ، فَلاَ تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئًا فَإِنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ»

٤. **وجاء في «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (٢/ ٤٧٠)**: **قال ابن بطة** «فالله الله معشرـ المسـلمين ، لا يحملن أحدا منكم حسـن ظنه بنفسـه ، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء ، فيقول: أداخله لأناظره ، أو لأستخرج منه مذهبه ، فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ، ويسـبونهم ، فجالسـوهم على سـبيل الإنكار ، والرد عليهم ، فما زالت بهم المباسـطة وخفي المكر ، ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم»

٥. **وجاء في «شرح السنة للبربهاري» (ص١٢٤)**: **قال البربهاري** «وإذا أردت الاسـتقامة على الحق وطريق أهل السـنة قبلك فاحذر الكلام، وأصـحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإن [اسـتماعك] منهم – وإن لم تقبل منهم – يقدح الشـك في القلب، وكفى به قبولا [فتهلك] ، وما كانت زندقة قط، ولا

بدعة، ولا هوى، ولا ضـــلالة، إلا من الكلام، والجدال، والمراء، والقياس، [وهي] أبواب البدعة، والشكوك والزندقة»

فالمبتدع يزجر ويهجر فلا يناظر وتفسح له المجالس لينشر شبهه فهذا من أعظم سبل الفساد بين الناس

٢- وكذلك السفيه لا يناظر

١ . جاء في «بهجة المجالس وأنس المجالس» (ص ٢٠١ بترقيم الشـاملة آليا):

قال وبرة بن خداش: أوصـــاني عبد الله بن عباس بخمس كلماتٍ هي أحب إلى من الدهم الموقوفة في الســبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعنيك أو في غير موضـــعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضـــعه قد عنت، ولا تمار سـفيهاً ولا فقيها، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحســـان ويكافى بالإجرام»

٢ . **وقـال معـاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـأمـا الســفيـه فلا يؤمن على الشرـ، ولا يرجى للنصيحة

٣. **وجاء في ﴿الزهد لأحمد بن حنبل﴾ (ص١٥٢)**: عَنْ جَعْفَرٍ الْخَطَمِيِّ، أَنَّ جَدَّهُ عُمَيْرَ بْنَ حَبِيبٍ أَوْصَى بَنِيهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، إِيَّاكُمْ وَمُجَالَسَةَ السُّفَهَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ دَاءٌ، إِنَّهُ مَنْ يَحْلُمُ عَنِ السَّفِيهِ لَيْسَ يَنْظُرُ بِحِلْمِهِ، وَمَنْ لَا يَفِرُّ بِقَلِيلِ مَا يَأْتِي بِهِ السَّفِيهُ يَفِرُّ بِالْكَبِيرِ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى مَا يَكْرَهُ يُدْرِكْ مَا يُحِبُّ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَلْيُوقِنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَثِقْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ لَا يَجِدُ مَسَّ الْأَذَى﴾

٤. **وقال يحيى بن سعيد:** جواب السفيه الصمت"

٥. **أَنْشَدَ رَجُلٌ، مِسْعَرَ بْنَ كِدَامٍ:**

لَا تَرْجِعَنَّ إِلَى السَّفِيهِ خِطَابَهُ ... إِلَّا جَوَابَ تَحِيَّةٍ حَيَّاكَهَا

فَمَتَى تُحَرِّكْهُ تُحَرِّكْ جِيفَةً ... تَزْدَادُ نَتْنًا إِنْ أَرَدْتَ حِرَاكَهَا

٦. **وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ كَلْبٍ، قَالَ: أَتَانِي** الْمُؤَمَّلُ الشَّاعِرُ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَاتَرْوِي لِي شَيْئًا وَلَكِنِ اسْمَعْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْأَبْيَاتِ:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلاَ تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

لَئِيمُ الْقَوْمِ يَشْتُمُنِي لِيَحْظَى ... وَلَوْ دَمَهُ سَفَكْتُ لَمَا حَظِيتُ

فَلَسْتُ مُشَابِهًا أَبَدًا لَئِيمًا ... خَزِيتُ لِمَنْ يُشَاتِمُهُ خَزِيتُ

٧. وجاء في ﴿الحلم لابن أبي الدنيا﴾ (ص٣٥): وَأَنْشَدَنِي مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ حِلْمٍ ... وَكَانَ الْفِعْلُ عَنْهُ لَهُ لِجَامَا

٨. وجاء في ﴿الصمت لابن أبي الدنيا﴾ (ص١٥٠):عَنْ أَبِي وَائِلٍ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ السَّفِيهَ يَخْرِقُ أَعْرَاضَ النَّاسِ أَنْ تُعَرِّبُوا عَلَيْهِ؟ قَالُوا: نَخَافُ لِسَانَهُ، قَالَ: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَا تَكُونُوا شُهَدَاءَ

٩. وجاء في ﴿الصمت لابن أبي الدنيا﴾ (ص١٥١):عَنْ شَيْخٍ، مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: قَالَ مَوْلًى لِعَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: رَآنِي عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ وَأَنَا مَعَ رَجُلٍ وَهُوَ يَقَعُ فِي آخَرَ، فَقَالَ لِي: ﴿وَيْلَكَ، - وَلَمْ يَقُلْهَا لِي قَبْلَهَا، وَلَا بَعْدَهَا - نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخَنَا، كَمَا تُنَزِّهُ لِسَانَكَ عَنِ الْقَوْلِ بِهِ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ، وَإِنَّمَا نَظَرَ إِلَى شَرِّ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ، وَلَوْ رَدَدْتَ كَلِمَةَ السَّفِيهِ فِي فِيهِ، لَسَعِدَ بِهَا رَادُّهَا، كَمَا شَقِيَ بِهَا قَائِلُهَا﴾

١٠. وجاء في ﴿أخلاق العلماء للآجري﴾ (ص٦٤): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:

﴿مَنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ فِي عِلْمِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أَنْ يَأْمَنَ شَرَّهُ مَنْ خَالَطَهُ ، وَيَأْمَلَ خَيْرَهُ مَنْ صَاحَبَهُ ، لَا يُؤَاخِذُ بِالْعَثَرَاتِ ، وَلَا يُشِيعُ الذُّنُوبَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يَقْطَعُ بِالْبَلَاغَاتِ ، وَلَا يُفْشِي سِرَّ مَنْ عَادَاهُ ، وَلَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْهُ ، ذَلِيلٌ لِلْحَقِّ ، عَزِيزٌ عَنِ الْبَاطِلِ ، كَاظِمٌ لِلْغَيْظِ عَمَّنْ آذَاهُ ، شَدِيدُ الْبُغْضِ لِمَنْ عَصَى مَوْلَاهُ ، **يُجِيبُ السَّفِيهَ بِالصَّمْتِ عَنْهُ** ، وَالْعَالِمَ بِالْقَبُولِ مِنْهُ ، لَا

مُدَاهِنٌ ، وَلَا مُشَاحِنٌ وَلَا مُخْتَالٌ ، وَلَا حَسُودٌ ، وَلَا حَقُودٌ ، وَلَا سَفِيهٌ ، وَلَا جَافٍ ، وَلَا فَظٌّ ، وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا طَعَّانٌ ، وَلَا لَعَّانٌ ، وَلَا مُغْتَابٌ ، وَلَا سَبَّابٌ

١١. وجاء في ﴿شعب الإيمان﴾ (**٦/ ٣٤٦** ت زغلول): محمد بن عمران الجيزي قال: سمعت ذا النون يقول: العز الذي لا ذل فيه **سكوتك عن السفيه عطب السفيه بيده وفيه**

١٢. وَقَالَ الْمُزَنِيّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ الْعِلْمُ جَهْلٌ عِنْدَ أَهْلِ الْجَهْلِ، كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ جَهْلٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، ثُمَّ أَنْشَدَ الشَّافِعِيُّ لِنَفْسِهِ:

وَمَنْزِلَةُ الْفَقِيهِ مِنْ السَّفِيهِ ... كَمَنْزِلَةِ السَّفِيهِ مِنْ الْفَقِيهِ

فَهَذَا زَاهِدٌ فِي قُرْبِ هَذَا ... وَهَذَا فِيهِ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ

إذَا غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى السَّفِيهِ ... تَنَطَّعَ فِي مُخَالَفَةِ الْفَقِيهِ

٣- والمتعنت

١. **جاء في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٢١): قَالَ ابْن سِــيرِين:** لَا تجَادل إِلَّا رجلا إِن كَلمته رَجَوْت أَن يرجع، فَأَما من كَلمته فجادلك فإياك أَن تكَلمه.

٢. **وجاء في «أخلاق العلماء للآجري» (ص ٦١):** وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ إِذَا عَارَضَهُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةِ بَعْضُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَهُ لِلْجَدَلِ ، وَالْمِرَاءِ وَالْمُغَالَبَةِ ، لَمْ يَسَعْهُ مُنَاظَرَتُهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ ، وَيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ ، وَلَوْ أَتَاهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ مِثْلِهَا يَجِبُ أَنْ يَقْبَلَهَا ، لَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَنَصَرَ قَوْلَهُ. وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادَهُ لَمْ تُؤْمَنْ فِتْنَتُهُ ، وَلَمْ تُحْمَدْ عَوَاقِبُهُ.

فصل في

أن المجادلة والمناظرة **قيدت** في أبواب ونهي عنها في أبواب

فلا مجادلة ولا مناظرة في الأمور

١- التي لم تقع

٢- والتي لا يترتب عليه عمل

٣- والمسائل المحدثة

٤- وأغاليط المسائل

٥- وفي المسائل التي انقرضت

٦- ومحدثات المتكلمين

٧- في مدافعة النصوص

٨- وفي المتشابهات

١. **جاء في «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (١/ ٤١٩)**:قال زيد بن علي لابنه: «يا بني اطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك، **فإن في تركك ما لا يعنيك دركا لما**

يعنيك، واعلم أنك تقدم على ما قدمت، ولســت تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا»

٢. **وقال يحيى بن معاذ الرازي**: «إن ربنا تعالى أبدى شيئا، وأخفى أشياء، وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدى، **وتركوا ما أخفى، وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفى، فهتكوا، فهلكوا، فأداهم الترك لأمره إلى حدود الضلال، فكانوا زائغين**

٣. **وجاء في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٥)**:عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِمَ عِلْمًا عَلَّمَهُ الْعِبَادَ وَعَلِمَ عِلْمًا لَمْ يُعَلِّمْهُ الْعِبَادَ، **فَمَنْ تَطَلَّبَ الْعِلْمَ الَّذِي لَمْ يُعَلِّمْهُ الْعِبَادَ لَمْ يَزْدَدْ مِنْهُ إِلَّا بُعْدًا، قَالَ: وَالْقَدَرُ مِنْهُ**"

٤. وقال ابن شــبرمة **في المســائل ما لايحل لأحد أن يسـأل عنها وفيها ما لا يحل أحد أن يبحث عنها** .

٥. **وجاء في «التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة – الســفر الثالث – ط الفاروق» (٢/ ١٥٥): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عون، قَالَ**: كنت في مجلس القاســم فجاء رَبِيْعَة فجعل

يقول: وقلت له: – يعني: قتادة – في الغرر، فقال القاسم: **يكفيكم أن تنتهوا إلَى ما انتهى اللهُ إليه**

٦. **وكما قيل:** إن من المسائل مسائل جوابها السكوت

٧. **وجاء في «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (١/ ٤٢٠): قال الشيخ ابن بطة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعجب يا إخواني رحمكم الله لقوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدى، فذهبت تند محاضره في أودية الردى، تركوا ما قدمه الله عَزَّوَجَلَّ في وحيه، وافترضه على خلقه، وتعبدهم بطلبه، وأمرهم بالنظر، والعمل به، وأقبلوا على ما لم يجدوه في كتاب ناطق، ولا تقدمهم فيه سلف سابق، فشغلوا به، وفرغوا له آراءهم وجعلوه دينا يدعون إليه، ويعادون من خالفهم عليه، أما علم الزائغون مفاتيح أبواب الكفر، ومعالم أسباب الشرك، التكلف لما لم تحط الخلائق به علما به، ولم يأت القرآن بتأويله، ولا أباحت السنة النظر فيه، فتزيد الناقص الحقير، والأحمق الصغير بقوته الضعيفة، وعقله القصير أن يهجم على سر الله المحجوب، ويتناول علمه بالغيوب يريدها لنفسه، وطوى عليها علمها دون خلقه، فلم يحيطوا من علمها إلا بما شاء، ولا يعلمون منها إلا ما يريد، فكل ما لم ينزل الوحي بذكره، ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله، ومخزون غيبه، وخفي أقداره، فليس للعباد أن يتكلفوا من علمه ما لا يعلمون، ولا يتحملوا من نقله ما لا يطيقون، فإنه لن يعدو رجل

كلف ذلك نظره، وقلب فيه فكره، أن يكون كالناظرين في عين الشمس ليعرف قدرها، أو كالمرتمي في ظلمات البحور ليدرك قعرها، فليس يزداد على المضي ـ في ذلك إلا بعدا، ولا على دوام النظر في ذلك إلا تحيرا، فليقبل المؤمن العاقل ما يعود عليه نفعه، ويترك إشغال نظره، وإعمال فكره في محاولة الإحاطة بما لم يكلفه، ومرام الظفر بما لم يطوقه، فيسلك سبيل العافية، ويأخذ بالمندوحة الواسعة، ويلزم الحجة الواضحة، والجادة السابلة، والطريق الآنسة، فمن خالف ذلك وتجاوزه إلى الغمط بما أمر به، والمخالفة إلى ما ينهى عنه، يقع والله في بحور المنازعة، وأمواج المجادلة، ويفتح على نفسه أبواب الكفر بربه، والمخالفة لأمره، والتعدي لحدوده. والعجب لمن خلق من نطفة من ماء مهين، فإذا هو خصيم مبين، كيف لا يفكر في عجزه عن معرفة خلقه، أما يعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخذ عليكم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلا الحق، فسبحان الله أنى تؤفكون»

٨. وجاء في «الشريعة للآجري» (١/ ٤٨٦):**قَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَكْرَهُونَ عُضْلَ الْمَسَائِلِ وَيَرُدُّونَهَا**، وَيَأْمُرُونَ بِالسُّؤَالِ عَمَّا يَعْنِي خَوْفًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَنَهَى عَنِ الْأُغْلُوطَاتِ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» كُلُّ هَذَا خَوْفًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، وَيَا أَهْلَ الْحَدِيثِ ، وَيَا أَهْلَ الْفِقْهِ ، وَدَعُوا الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَئِمَّتِكُمْ، يَسْتَقِمْ لَكُمُ الْأَمْرُ

الرَّشِيدُ، وَتَكُونُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْوَاضِحَةِ إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ أُثْبِتَ فِي تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِمَنْ أَحَبَّ

وكما قيل وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر وفي تفضيل أحدهما على الآخر وفي الوساوس والخطرات ومجاهدة النفس وقمع الهوى فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر فهم دائبون يخبطون في العشوات قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى

والمتحصل من هذا أن المجادلة والمناطرة

١- منها ما هو مذموم

٢- ومنها ماهو محمود

والقسم المحمود الذي جاء بالشرع ذكره ومشروعيته لابد أن تراعى فيه الضوابط والآداب وإلا أيضا صار الإمتناع عنه

وأهم هذه الآداب

١ - أن يكون المجادل والمناظر مستحضرا لنيته خالصا في عمله وجه اللّه عَزَّوَجَلَّ

١. **نبه المزني على هذا فقال** وَمِنْ حَقِّ الْمُنَاظَرَةِ أَنْ يُرَادَ بِهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَأَنْ يُقْبَلَ مِنْهَا مَا تبين»

٢. **- ونبه عليه حينما تعرض لضوابط المناظرة المشروعة أبو عبد الله ابن بطة في قوله** ((فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام تصحيح النية بالنصيحة واستعمال الإنصاف والعدل ومراد الحق الذي به قامت السماوات والأرض فمن النصيحة أن تكون تحب صواب مناظرك ويسوؤك خطأه كما تحب الصواب من نفسك ويسوؤك الخطأ منها فإنك إن لم تكن هكذا كنت غاشا لأخيك ولجماعة المسلمين وكنت محبا أن يخطأ في دين الله وأن يكذب عليه ولا يصيب الحق في الدين ولا يصدق فإذا كانت نيتك أن يسرك صواب مناظرك ويسوءك خطأه فأصاب وأخطأت لم يسؤك الصواب ولم تدفع ما أنت تحبه بل سرك ذلك وتتلقاه بالقبول والسرور والشكر لله عَزَّوَجَلَّ حين وفق صاحبك لما كنت تحب أن تسمعه منه فإن أخطأ ساءك ذلك وجعلت همتك التلطف لتزيله عنه لأنك رجل من أهل العلم يلزمك النصيحة للمسلمين بقول الحق فإن كان عندك

بذلته وأحببت قبوله وإن كان عند غيرك قبلته ومن دلك عليه شكرت له فإذا كان هذا أصـــلك وهذه دعواك فأين تذهب عما أنت له طالب وعلى جمعه حريص ولكنك والله يا أخي تأبى الحق وتنكره إذا ســبقك مناظرك إليه وتحتال لإفســاد صوابه وتصويب خطئك وتغتاله وتلقي عليه التغاليظ وتظهر التشنيع ولا سيما إن كان في عينك وعند أهل مجلســك أنه أقل علما منك فذاك الذي تجحد صــوابه وتكذب حقه ولعل الأنفة تحملك إذا هو احتج عليك بشيــء خالف قولك فقال لك: قال رســول الله ﷺ قلت: لم يقله رســول الله فجحدت الحق الذي تعلمه ورددت الســنة فإن كان مما لا يمكنك إنكاره أدخلت على قول رســول الله ﷺ علة تغير بها معناه وصرفت الحديث إلى غير وجهه فإرادتك أن يخطأ صــاحبك خطأ منك واغتمامك بصوابه غش فيك وسوء نية في المسلمين فاعلم يا أخي أن من كره الصواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه وينسيه ما ذكره بل يخاف عليه أن يســلبه الله إيمانه لأن الحق من رســول الله إليك افترض عليك طاعته فمن ســمع الحق فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبرين على الله ومن نصر الخطأ فهو من حزب الشيطان فإن قلت أنت الصـواب وأنكره خصـمك ورده عليك كان ذلك أعظم لأنفتك وأشــد لغيظك وحنقك وتشــنيعك وإذاعتك وكل ذلك مخالف للعلم ولا موافق للحق))

فهذا هو أول هذه الأول

٢- أن يكون المجادل والمناظر مؤهلا علميا وإلا بماذا يناظر ويجادل

١. قد قال تعالى في كتابه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]

٢. قال تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾} [سورة البقرة:١١١].

٣. وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [سورة الأعراف:٣٣].

٤. و قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾} [سورة غافر:٣٥].

٥. وقال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾} [سورة غافر:٥٦].

٦. وقال تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣} [سورة الحج:٣].

٧. وقال تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨} [سورة الحج:٨].

٨. وقال تعالى: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠} [سورة لقمان:٢٠].

فعلى من أراد أن يثبت الصواب في مسألة ما أن يتكلم بالعلم وفي هذا قد قيل (إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل .

وإلى هذا أشـــار عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فقال** إِنَّهُ سَـيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُـبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»

فلابد أن تكون عالما بالسنن حتى ترد عليهم بها لأن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى من غيرهم ومتى ما كان المرء ملما بالأخبار والآثار فحينئذ يكون متكلما بحجة كما قال ابن عيينة يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ تَعَلَّمُوا فِقْهَ الْحَدِيثِ لَا يَقْهَرُكُمْ أَصْحَابُ الرَّأْيِ، مَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ شَـيْئًا إِلَّا وَنَحْنُ نَرْوِي فِيهِ حَدِيثًا أَوْ حَدِيثَيْنِ، قَالَ: فَتَرَكُوهُ، وَقَالُوا: عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَمَّنْ؟

ومن أخطر المسالك التي لابد أن ينتبه منها طالب العلم وهي استعمال علم الكلام في الدين

١. جاء **عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ** : (مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ)

٢. **وقال أيضا** : إذا رأيت صاحب كلام يمشي في الهواء فلا تأمن ناحيته ، ولا تثق به

٣. **وروى اللالكائي (٣٠٩) وابن عبد البر في الجامع (١٧٨٦) عن مُصْعَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيَّ يَقُولُ** : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: الْكَلَامُ فِي الدِّينِ أَكْرَهُهُ وَكَانَ أَهْلُ بَلَدِنَا يَكْرَهُونَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ نَحْوَ الْكَلَامِ فِي رَأْيِ جَهْمٍ وَالْقَدَرِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ إِلَّا فِيمَا تَحْتَهُ عَمَلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الدِّينِ وَفِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَالسُّكُوتُ أَحَبُّ إِلَيَّ ، لِأَنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ إِلَّا مَا تَحْتَهُ عَمَلٌ »

٤. **روى الهروي (٨٦٠) ومن طريقه ابن المبرد في الرد على ابن عساكر (٣٣) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ** : دَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ : لَعَلَّكَ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، لَعَنَ اللَّهُ عَمْرًا ، فَإِنَّهُ ابْتَدَعَ هَذِهِ الْبِدَعَ مِنَ الْكَلامِ ، وَلَوْ كَانَ الْكَلامُ عِلْمًا لَتَكَلَّمَ فِيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ كَمَا تَكَلَّمُوا فِي الأَحْكَامِ

وَالشَّرَـائِعِ ، وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ يَدُلُّ عَلَى بَاطِلٍ . عن الشــافعي أنه قال : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام . "[(١)]

٥. وروى ابن عبد البر في الجامع (١٧٩٥) عَنْ أَبِي ثَوْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِلشَّــافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ضَعْ فِي الْكَلَامِ شَـيْئًا فَقَالَ : مَنْ تَرَدَّى فِي الْكَلَامِ لَمْ يُفْلِحْ . وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضــب وقال : ســل عن هذا حفص الفرد وأصــحابه لعنهم الله.[(٢)]

٦. وروى نصرـ المقدسي في كتابه الحجة عن الربيع قال : سـمعت الشـافعي يقول : ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح .

٧. وفي السـنة للخلال (٢١٣) قَالَ أَحمد : احْذَرُوا أَصْـحَابَ الْكَلَامِ ، لَا يَئُولُ أَمْرُهُمْ إِلَى خَيْرٍ " .

---

(١) [أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/١١١) واللالكائي في السنة (١/١٤٦).]

(٢) [الحلية ٩/١١١]

٨. **وَقَالَ أَحْمد :** لَا يفلح صَــاحب الْكَلاَم أبدا وَلَا تكَاد ترى أحدا نظر فِي الْكَلاَم إِلَّا وَفِي قلبه دغل . [(١)]

٩. **وقال أحمد :** "علماء الكلام زنادقة " [(٢)]

١٠. **وقال أيضــا :** لا أحب لأحد أن يجالســهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم ، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة ، فإن الكلام لا يدعوهم إلى خير ، فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال ، عليكم بالســنن والفقه الذي تنتفعون به ، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ، أدركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام.[(٣)]

١١. وعن **أبي الحارث قال الإمام أحمد :** إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره ، وأخبرت عن أبي عمران الأصبهاني ، قال : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : لا تجالس صاحب كلام وإن ذب عن السنة فإنه لا يؤول أمره إلى خير. [(٤)]

---

(١) [جامع بيان العلم ٢/٩٥]

(٢) [جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٥.]

(٣) [الإبانة (٢/ ٣/٥٣٩/ ٦٧٦)]

(٤) [الإبانة (٥٤٠/ ٦٧٩)]

١٢. **قال أحمد بن شهاب الإسفراييني :** سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عمن نكتب في طريقنا ؟ فقال : عليكم بهناد ، وبســفيان بن وكيع ، وبمكة ابن أبي عمر ، وإياكم أن تكتبوا –يعني : عن أحد من أصــحاب الأهواء ، قليلا ولا كثيرا ، عليكم بأصحاب الآثار والسنن . (١)

١٣. **وفي كتاب الآداب لابن مفلح (٢/٦) : قال المروذي** : كان أحمد إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو اتباع الأثر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة)

١٤. **وقال مالكُ بن أنسٍ:** "ما قَلَّتِ الآثارُ في قومٍ إلا ظَهَرَتْ فيهم الأهواءْ، ولا قلَّت العلماءُ إلا ظهَرَ في الناسِ الجَفَاءْ" (٢)

١٥. وقد كان مالكٌ يحذِّرُ أصــحابَهُ مِن علمِ الكلامِ لأجلِ ذلك؛ ومِن قولِهِ: "إيَّاكُمْ والبِدَعَ، قيل: يا أبا عبد الله، وما البِدَع؟ قال: أهلُ البِدَعِ الذين يَتكلَّمُونَ في أســماءِ اللهِ وصــفاتِه، وكلامِهِ وعلمِهِ وقدرتِهِ، ولا يســكُتُونَ عمَّا ســكَتَ عنه الصــحابةُ والتابِعونَ لهم بإحسان "(٣)

---

(١) [السير (١١/٢٣١)]

(٢) "الفقيه والمتفقه" (٣٩٠)، و"ذم الكلام" للهروي (٨٦٩).

(٣) "ذم الكلام" للهروي (٨٥٨).

١٦. وقد كان أهلُ المدينةِ يَنْهَوْنَ عن الخوضِ في علمِ الكلام، وهم أعلَمُ الناسِ بأثَرِهِ على الحديث، وقد قال مالكٌ ومُصعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ: "رأيتُ أهلَ بَلَدِنا - يعني: أهلَ المدينةِ- يَنْهَوْنَ عن الكلامِ في الدِّين "[(١)]

١٧. وقال مالكٍ: "لا تجوزُ شهادةُ أهلِ البِدَعِ وأهلِ الأهواءِ"؛ قال: "أهلُ الأهواءِ عندَ مالكٍ وسائرِ أصحابِنا هم أهلُ الكلام فكلُّ متكلِّمٍ، فهو مِن أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ؛ أشعريًّا كان أو غيرَ أشعريٍّ ولا تُقبَلُ له شهادةٌ في الإسلامِ أبدًا."[(٢)]

١٨. **في الإبانة:** بالسند إلى أبي بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لا يخلو من أن يتجهم.[(٣)]

١٩. **وجاء في الإبانة:** عن أحمد بن حنبل قال: عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة لأن الكلام لا يدعو إلى خير ولا

---

(١) "شرح أصول الاعتقاد" (٣٠٨ و ٣٠٩)

(٢) جامع بيان العلم" (١٨٠٠)

(٣) الإبانة (٢/ ٥٣٨/٣ - ٥٣٩/ ٦٧٤)

أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة.[(١)]

٢٠. **جاء في ذم الكلام: قال أحمد بن الوزير قلت لأبي عمر الضرير:** الرجل يتعلم شيئا من الكلام يرد به على أهل الجهل. فقال: الكلام كله جهل، وإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل.[(٢)]

ولا يوجد إمام متقدم من أهل الحديث تعاطى علم الكلام ولا دخل فيه

١. **كما قال الدارمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعَجَبُ مِنْ اسْتِطَالَتِكَ بِجَهَالَتِكَ هَذِهِ، وَأُغْلُوطَاتِكَ؛ إِذْ تَقُولُ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالله وَبِكِتَابِهِ مِنْكَ: إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا تَفْسِيرَ مَا قُلْنَا، وَإِلَّا فَسَلُوا العلمَاءَ ولا تَعْجَلُوا.

وَيْلَكَ أَيُّهَا المَرِيسِيُّ، قَدْ سألنا العُلَمَاءَ، وَجَالَسْنَا الفُقَهَاءَ، فَوَجَدْنَاهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى خِلَافِ مَذْهَبِكَ، فَسَمِّ عَالِمًا مِمَّنْ مَضَى ـ وَمِمَّنْ غَبَرَ يَحْتَجُّ بِمِثْلِ هَذِهِ العَمَايَات، ويتكَلَّم بها حتى

(١) الإبانة (٢/ ٣/ ٥٣٩/ ٦٧٦)

(٢) ذم الكلام (٢٥٧).

نَعْرِفهُ فنَسْأَلَهُ، فَإِنَّا مَا رَأَيْنا مُتكَلِّمًا يَنْتَحِلُ الإِسْلاَمَ أَظْهَرَ كُفْرًا، وَأَسْمَجَ كَلاَمًا، وَأَقَلَّ إِصَابَةً فِي التَّأْوِيلِ مِنْكَ

وَقَدْ عَرَضْنَا كَلاَمَكَ عَلَى كَلاَمِ مَنْ مَضَى، وَمَنْ غَبَرَ مِنَ العُلَمَاءِ، فَمَا فَوَجَدنَا أَحَدًا عَلَى مَذْهَبِك، وَعَرَضْنَاهُ عَلَى لُغَاتِ العَرَبِ والعَجَمِ فَلَمْ يَحْتَمِلْ شَيْءٌ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ كَلاَمِكَ. وَلَوْ كَانَ عِنْدَكَ مَنْ يَنْصَحُكَ لَحَجَرَ عَلَيْكَ الكَلاَمَ فَضْلاً أَنْ يَفْتَخِرَ بِحُسْنِ الكَلاَمِ.[١]

٢. **وقال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :و مَن تكلّف ما يجهلُ وما لم تُثبِتْهُ معرفتُه كانت موافقتُه الصوابَ إن وافقه- من حيث لا يعرفه غيرَ محمودة، وكان بخطئه غيرَ معذورٍ، إذا ما نطق فيما لا يُحيط علمُه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه.[٢]

٣. **وقال الكرجي في مقدمة تفسيره** :فإن أكثر من ضل منهم ضل بتركه تميز كتاب ربه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصاره على مخاريق أهل الكلام، وما وشّوه به من رائق النظام الذي لا يفيد محصولا، ولا يشيد معقولا أو لا يفكر أن الله قد عبد بهذا الدين قبل أن يخلق أبو الهذيل، وأتباعه والنظام وأشياعه، وكانت حجته على عباده واضحة بكتابه.

---

(١) نقض الدارمي على المريس» (ص١٥٤)

(٢) (الرسالة للشافعي ص ٢٢)

ويعولون عليه، ويدعون من خالفهم إليه متبعين فيه قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣][(١)]

وهذه شهادة المتكلمين على فساد معتقدهم وصحة معتقد ومنهج أهل الحديث وحيرتهم وتقلبهم

١. **قال المتكلِّمُ الوليدُ بن أَبَانَ الكَرَابيسيُّ ـ لما حضَرَتْهُ الوفاةُ لبنيه:** "هل تَعلَمُونَ أحدًا أعلَمَ بالكلامِ منِّي؟ قالوا: لا، قال: فتتَّهِمُوني؟ قالوا: لا، قال: فإنِّي أُوصيكُم بما عليه أصحابُ الحديثِ؛ فإنِّي رأيتُ الحقَّ معهم"

٢. **وقال أبو المَعَالِي الجُوَيْنيُّ:** "أموتُ على ما يموتُ عليه عجائزُ نَيْسَابُور"

٣. **ويقولُ أبو الوفاءِ بنُ عَقِيلٍ:** "عُدتُّ القَهْقَرَى إلى مذهَبِ المَكْتَبِ"

٤. **ويقول الشَّهْرَسْتانيُّ:** "عليكم بِدِينِ العَجَائِز (يقصد الفطرة)

٥. **ويقولُ الفخرُ الرازيُّ:** "لقد اختبَرْتُ الطُّرُقَ الكلاميَّة، والمناهجَ الفلسفيَّة، والعلومَ المختلِفةَ؛ فما رأيتُ فيها فائدةً تساوي الفائدةَ التي وَجَدتُّها في القرآنِ العظيمِ؛ لأنه يَسعَى إلى تسليمِ العَظَمةِ والجَلالِ بالكليَّةِ للهِ تعالى، ويَمنَعُ مِن التمعُّنِ في إيرادِ المعارَضاتِ والمناقَضات"

---

(١) «النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» (١/ ٧٩)

وقد قالوا هذا وأقَرَّ به أئمَّةُ أهلِ الكلامِ في نهايةِ طَوَافِهم في المعقولاتِ الكلاميَّة فاعتبروا يا أولي الألباب والأبصار

قلت وعلم الكلام والكلام المذموم عموما هو كل ما لم يكن فيه وحي أو أثر ، كمن يكتب بلا أثر ويفتي بدونه ونحو هذا

فالفهم الخاص والقواعد والأصول المستحدثة والتفريعات والقياسات الفاسدة ونحوها مما ليس مبناه على الأثر فهل باطل

١. **كما قال شُعْبَةَ في ما رواه ابن الجعد (٣٠) وأبو نعيم في الحلية (١٤٩/٧) والهروي في ذم الكلام (١٨٦/٥) :** (كُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ سَمِعْتُ فَهُوَ خَلٌّ وَبَقَلٌ)

٢. **وجاء في شرف أصحاب الحديث (ص٦) عن الثوري قال :** إنما الدين بالآثار ليس بالرأي

٣. **وروى ابن بشران في أماليه (٥٦٧) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٦٥) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ يَقُولُ :** لَيْسَ الدِّينُ بِالْكَلَامِ ، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ.

٤. **وروى الهروي في ذم الكلام (٣٢٤) عن عِصَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ:** عَلَيْكُمْ بِالْآثَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ .

٥. **وروى ابن عبد البر في جامع البيان (١٤٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:** « مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ »

٦. وجاء في المدخل للبيهقي (٢٣٥) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : إِنَّمَا الْعِلْمُ كُلُّهُ الْعِلْمُ بِالْآثَارِ .

٧. وروى في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ »

٨. وذكر ابن القيم في الطرق الحكمية (ص٢٣٤) قَالَ الْخَلَّالُ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ الْمُقْرِي قَالَ : سَمِعْت أَبَا عَبْدِ اللَّهِ – وَسُئِلَ عَنْ الرَّأْيِ ؟ – فَرَفَعَ صَوْتَهُ قَالَ : لَا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْ الرَّأْيِ، عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْآثَارِ.

٩. وفي كتاب مناقب أحمد لابن الجوزي (ص٢٦٥) بإسناده إلى حنبل بن إسحاق قال : رأيت أبا عبد الله يكره أن يكتب شيء في رأيه أو فتواه .

والآثار في هذا كثيرة ، وهذا المعنى هو إجماع أهل السنة القديم كما قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وأبا زرعة : يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار ، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين . (١)

(١) [اللالكائي (١/١٧٩)]

٣- ولابد أن يكون مريدا للنصح في مجادلته ومناصحته

١ . **كما قال الشـــافعي** «ما ناظرت أحدا قط إلا على النصـــيحة ، وما ناظرت أحدا ما فأحببت أن يخطئ ، أفهكذا أنت يا أخي بالله عليك؟ إن ادعيت ذلك ، فقد زعمت أنك خير من الأخيار ، وبدل من الأبدال ، والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبة لا مناظرة ، ومكايدة لا مناصـــحة ، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كثر وانتشرـــ في كثير من البلدان ، فمما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب الغلبة ، ونصرـة الخطأ أن تحمر وجوههم ، وتدر عروقهم ، وتنتفخ أوداجهم ، ويسيل لعابهم ، ويزحف بعضـهم إلى بعض ، حتى ربما لعن بعضـهم بعضـا ، وربما بزق بعضـهم على بعض ، وربما مد أحدهم يده إلى لحية صاحبه ، ولقد شـهدت حلقة بعض المتصـدرين في جامع المنصــور ، فتناظر أهل مجلســه بحضرــته ، فأخرجهم غيظ المناظرة ، وحمية المخالفة إلى أن قذف بعضــهم زوجة صــاحبه ووالدته ، فحسـبك بهذه الحال بشـاعة وشــناعة على ســفه الناس وجهالهم ، فكيف بمن تســمى بالعلم ، وترشـح للإمامة والفتيا ، ولقد رأيت المناظرين في قديم الزمان وحديثه ، فما رأيت ولا حدثت ، ولا بلغني أن مختلفين تناظرا في شيء ففلجت حجة أحدهما ، وظهر صــوابه ، وأخطأ الآخر ، وظهر خطأه ، فرجع المخطئ عن خطئه ، ولا صبا إلى صـواب صـاحبه ، ولا افترقا إلا على الاختلاف والمباينة ، وكل واحد منهما متمســك بما كان عليه ، ولربما علم أنه على الخطأ ، فاجتهد في نصرـته ، وهذه أخلاق كلها تخالف الكتاب والسـنة ، وما كان عليه السلف الصالح من علماء الأمة»

٢. **ويقول ابن بطة** (الذي يلزم المسـلمين في مناظراتهم واسـتعمال النصـيحة والانصاف والعدل)

٣. **ومن جميل كلام الشـافعي في هذا قال** «مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَـدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ. وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلَّا وَلَمْ أُبَالِ بَيَّنَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ»

فمن لم يكن متصفا بهذه الصفات فسيكون متصفا بنقيضها مثل إرادة المغالبة والمكايدة الأمر الذي قد حذرنا منه السلف ولأجل هذا قال البربهاري لما رأى أكثر الناس هكذا قال (الجلوس للمناظرة إغلاق باب الفائدة)

٤. **وقال ابن بطة** ((الذي يظهر من اهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبة))

٤- ومن أداب المناظرة أن يترك المرء مجادلة الجاهل والمتعنت وإن كان للمتعنت علم فإن مجادلة ومناظرة هؤلاء لا تنفع إنما هي وبال عليه وعلى صـاحبه فعلى صـاحبه زيادة في الحجج عليه وعليه هو تضـييع للوقت وإيغال للصـدر ومدخل للأثام فمناظرة الجاهل والمتعنت ممنوعة

١. يقول الخليل بن أحمد

(لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي ... أَوْ كُنْتُ أَعْقِلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا)

(لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي ... وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا)

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا؛ فَقَالَ: الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَذَاكَ غَافِلٌ فَنَبِّهُوهُ، وَرَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي؛ فَذَاكَ عَاقِلٌ فَاعْرِفُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي؛ فَذَاكَ جَاهِلٌ فَعَلِّمُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي، فَذَاكَ مَائِقٌ فَاحْذَرُوهُ»

فالجاهل لا يناظر

ولأجل هذا قال الشافعي مبينا أنه لا فائدة في مجادلة الجاهل فكيف تلزمه بشيء وهو جاهل قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما ناقشني عالم إلا غلبته، ولا ناقشني جاهل إلا غلبني**

٢. **وجاء في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣٧):** عن محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي، قال: حَدثنى بعض أصحابنا، أن ابن أبى دُؤاد أقبل على أحمد يُكلمه، فلم يلتفت إليه أحمد، حتى قال المعتصم لأحمد: ألا تُكلم أبا عبد الله؟ فقال أحمد: **لستُ أعرفه من أهل العلم فأكلمه!**

٣. وجاء في «سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (٨/ ١٠٦):عن مَالِكٍ، قَالَ: الجِدَالُ فِي الدِّيْنِ يُنْشِئُ المِرَاءَ، وَيُذْهِبُ بِنُوْرِ العِلْمِ مِنَ القَلْبِ وَيُقَسِّي، وَيُورِثُ الضِّغْنَ»

٤. **وجاء في «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٥٣٠):** قال عبد الله بن الحسين: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة

٥. **وجاء في «الزهد لهناد بن السري» (٢/ ٥٥٧):** عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: " لَا تُمَارِ أَخَاكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ: لَا أُمَارِي أَخِي إِمَّا أَنْ أُغْضِبَهُ وَإِمَّا أُكَذِّبَهُ "

وكذلك المتعنت يجتنب

١. **قال أبو ثور** عَنْ أَبِي ثَوْرٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِيُّ عَلَيْنَا جِئْتُ إِلَى مَجْلِسَهُ شِبْهَ الْمُسْتَهْزِئِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الدُّورِ فَلَمْ يُجِبْنِي وَقَالَ: كَيْفَ تَرْفَعُ يَدَيْكَ فِي الصَّلَاةِ فَقُلْتُ: هَكَذَا. فَقَالَ: أَخْطَأْتَ فَقُلْتُ: هَكَذَا فَقَالَ: أَخْطَأْتَ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مِنْكَبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ. قَالَ أَبُو ثَوْرٍ: فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مِنْ ذَلِكَ، فَجَعَلْتُ أَزِيدُ فِي الْمَجِيءِ إِلَى الشَّافِعِيِّ، وَأَقْصُرُ مِنَ الِاخْتِلَافِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فَقَالَ: أَجَلْ، الْحَقُّ مَعَهُ قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ تَرْفَعُ يَدَيْكَ فِي الصَّلَاةِ؟ فَأَجَابَنِي نَحْوَ مَا أَخْبَرْتُ الشَّافِعِيَّ، فَقُلْتُ: أَخْطَأْتَ. فَقَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي الشَّافِعِيُّ عَنْ سُفْيَانٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مِنْكَبَيْهِ وَإِذَا رَكَعَ وَإِذَا رَفَعَ. قَالَ أَبُو ثَوْرٍ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ وَعَلِمَ

الشَّــافِعِيُّ أَنِّي قَدْ لَزِمْتُهُ لِلتَّعَلُّمِ مِنْهُ قَالَ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، مَسْــأَلَتُكَ فِي الدَّوْرِ، وَإِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أُجِيبَكَ يَوْمَئِذٍ لِأَنَّكَ كُنْتَ مُتَعَنِّتًا

٢. **جاء في ﴿الحجة في بيان المحجة﴾ (٢/ ٥٢١):** قَالَ ابْن سِيرِين: لَا تجَادل إِلَّا رجلا إِن كَلمته رَجَوْت أَن يرجع، فَأَما من كَلمته فجادلك فإياك أَن تكَلمه

٣. **وجاء في ﴿أخلاق العلماء للآجري﴾ (ص٦١):** وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ إِذَا عَارَضَهُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةِ بَعْضُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَهُ لِلْجَدَلِ ، وَالْمِرَاءِ وَالْمُغَالَبَةِ ، لَمْ يَسَعْهُ مُنَاظَرَتُهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ ، وَيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ ، وَلَوْ أَتَاهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ مِثْلِهَا يَجِبُ أَنْ يَقْبَلَهَا ، لَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَنَصَرَ قَوْلَهُ. وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادَهُ لَمْ تُؤْمَنْ فِتْنَتُهُ ، وَلَمْ تُحْمَدْ عَوَاقِبُهُ.

فالمتعنت لا يجادل ولا يناظر ولا يجاب

وجاء عن السلف النهي عن مناظرة الجاهل ولا اللجوج فيجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر

٥- كذلك من آداب المناظرة أن يحسن المناظر والمجادل الإنصات لصاحبه فإن كان الدور دوره في الكلام وأن لا يقاطعه ولا يتضاحك أمامه أثناء حديثه

وإذا وجه إليه سؤال أن لا يحيد عنه

وأن يكون ملتزما بحسن الوقار ولا ينفعل فيغضب ويصيح

وإذا أراد أن يستدل فعليه أن يحسن الاستدلال

وأن يستحضر لأن الخلاف قد يبقى ومع هذا فإن الخلاف في الفروع ومسائل الاجتهاد لا توجب المفارقة ولا البغضاء بل يجب أن تكون المودة باقية وإلى هذه الأمور نبه غير واحد

١ . جاء في «**الشريعة للآجري**» (١/ ٤٦٢):«قَدْ كَثُرَ فِي النَّاسِ جِدًّا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فِي كُلِّ بَلَدٍ يُنَاظِرُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ يُرِيدُ مُغَالَبَتَهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَالِاسْتِظْهَارُ عَلَيْهِ بِالِاحْتِجَاجِ، **فَيَحْمَرُّ لِذَلِكَ وَجْهُهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ،** وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُحِبُّ أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، لَا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ وَلَا يَحْمَدُهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْعُقَلَاءِ»

٢. **وجاء في «مناقب الشـــافعي للبيهقي» (١/ ١٨١):** عن يونُس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت الشافعي، يقول: ناظرت محمد بن الحسن، فاشتدت مناظرتي إيّاه فجعلت أَزْرَارُه تَتَقَطَّع زرًّا زرًّا، وأَوْدَاجُه تَنْتَفِخُ

٣. **أخبرنا أبو عبد الرحمن السـلمي، قال** (سـمعت عبد الله بن محمد بن علي ابن زياد يقول) سـمعت محمد بن إسـحاق بن خُزَيْمَة يقول: سـمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: قال لي الشـافعي: ناظرت محمد بن الحسـن، وكان عليه ثياب رقاق، وكان يناظرني فتنتفخ أَوْدَاجُه وينقطع [زرّه وتنتفخ أوداجه وينقطع زره] حتى بقي بلا زر....

٤. **وجاء عن الربيع، يقول:** سـمعت الشـافعي، يقول: كنت أرى إذا تناظر اثنان في مسألة، وكان أحدهما يُنَاظر ويضحك، ظنت العامة أنه هو المصيب، فقضوا له على صاحبه

وذكر هذه الجزئية أبو حنيفة لأصـحابه وهي مدخل خديعة فقال لأصـحابه ((إذا ناظرتم فأظهروا الضحك يقضي لكم الجمهور بالغلبة))

فهذا من صنيع أهل الحيل

٦- ومن آداب المناظرة والرد (فهم السؤال)

١. **أَوْصَى يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ابْنَهُ جَعْفَرًا قَالَ:** «لَا تُرَدَّ عَلَى أَحَدٍ جَوَابًا حَتَّى تَفْهَمَ كَلَامَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَصْرِفُكَ عَنْ جَوَابِ كَلَامِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَيُؤَكِّدُ الْجَهْلَ عَلَيْكَ وَلَكِنِ افْهَمْ عَنْهُ، فَإِذَا فَهِمْتَهُ فَأَجِبْهُ , وَلَا تَتَعْجَلْ بِالْجَوَابِ قَبْلَ الِاسْتِفْهَامِ، وَلَا تَسْتَحِ أَنْ تَسْتَفْهِمَ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ فَإِنَّ الْجَوَّابَ قَبْلَ الْفَهْمِ حُمْقٌ، وَإِذَا جَهِلْتَ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَ فَاسْأَلْ، فَيَبْدُو لَكَ وَاسْتِفْهَامُكَ أَحْمَدُ بِكَ، وَخَيْرٌ لَكَ مِنَ السُّكُوتِ عَلَى الْعِيِّ.

٢. **وكان الشَّافِعِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** إذا ناظره إنسان في مسألة عدا منها إلى غيرها، نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد

٣. **وقال يونس الصدفي:** ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة.

٤. **وجاء عن الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيَّ أَخْبَرَنِي، قَالَ:** كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَجَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ رَاكِبًا عَلَى دَابَّةٍ، قَالَ: فَتَنَاظَرَا فِي الشَّهَادَةِ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمَا جَفَاءٌ وَكَانَ أَحْمَدُ يَرَى الشَّهَادَةَ وَعَلِيٌّ يَأْبَى وَيَدْفَعُ، فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ الِانْصِرَافَ قَامَ أَحْمَدُ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «لَا تَنْظُرْ بَيْنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَنَكِلُهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ حَاطِبٍ» قَالَ أَبُو عُمَرَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَرَى الشَّهَادَةَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ بَدْرًا أَوِ الْحُدَيْبِيَةَ أَوْ لِمَنْ جَاءَ فِيهِ أَثَرٌ مَرْفُوعٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ

بَعْضِـهِمْ بَعْضًـا، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ يَأْبَى ذَلِكَ وَلَا يُصَـحِّحُ فِي ذَلِكَ أَثَرًا وَأَمَّا تَنَاظُرُ الْعُلَمَاءِ وَتَجَادُلُهُمْ فَإِنَّ مَسَـائِلَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّـحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَسَنَذْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا يُسْتَدَلُّ به

٥.

وقد لخص الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– آداب المناظرة في أبيات قال فيها:

إذا ما كنت ذا فضل وعلم بما اختلف الأوائل والأواخرْ

فناظر من تناظر في سكونٍ حليما لا تلجَّ ولا تكابرْ

يفيدك ما استفاد بلا امتنانٍ من النكت اللطيفة والنوادرْ

وإياك اللجوح ومن يرائي بأني قد غلبت ومن يفاخرْ

فإن الشر في جنبات هذا يمني بالتقاطع والتدابرْ

٦. **وجاء في نونية القحطاني**

لا تفن عمرك في الجدال مخاصما ... إن الجدال يخل بالأديان

«وَاحْذَّرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَال فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ

وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلى الجِدَالِ وَلم تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَباً وَتَلاَقَتَ الصَّفَانِ

فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعاً سَابِغاً ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي المَيْدَانِ

وَالسُّنَةَ البَيْضَاءَ دُوْنَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ العَزْمِ فِي الجَوَلَانِ

واثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الهُدَى ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإنسان

واطْعن بِرُمْحِ الحَقِ كُلَّ مُعَانِدٍ ... للهِ دَرُّ الفَارِسِ الطَّعَانِ

واحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ للهِ غَيْرَ جَبَانِ

وَإِذَا غَلَبْتَ الخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ ... فَالعُجْبَ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإنسان

لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحْ ... فَكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

كُنْ طُوْلَ دَهْرِكَ سَاكِتاً مُتَواضِعاً ... فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيْلَةٍ بَابَانِ

واخْلَعْ رِدَاءَ الكِبْرِ عنكَ فَإِنَّهُ ... لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الكَتِفَانِ»

درر منتقاة

من كلام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أمر الفرقة والإختلاف والخصومة والجدال

نقلت هذه النصوص لشدة بلاغة قائلها وحسن نظمها وعلى إختصارها إلا أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يترك لقائل بعده ما يقول وكلما مررت على هذه النصوص كنت أهم لإفرادها لأنني كلما قرأتها وكأنني أقرأها أول مرة لشدة ما أجد فيها من المعاني التي تحاكي واقعا وبلاء صعبا نعيشه اليوم من إشكالات الجهل والتدليس والحمق والتعالم والزندقة والحماس وقلة الآدب والخوض وقلة الخوف من الله وإشكالات كثيرة جدا لا تخفى على أحد

فكلمات ابن بطة التي سأنقلها من قرأها بتدبر وتأمل ودون مقدمات عاطفية مسبقة فسيجد فيها الدار والدواء بإذن الله تعالى .

١- **فمن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ :** فلو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحاً وبصراً نافذاً، فأمعن نظره وردد فكره وتأمل أمر الإسلام وأهله، وسلك بأهله الطريق الأقصد، والسبيل الأرشد، لتبين له أن الأكثر والأعم الأشهر من الناس قد نكصوا على أعقابهم، وارتدوا على أدبارهم، فحادوا عن المحجة، وانقلبوا عن

صـــحيح الحجة، ولقد أضـــحى كثير من الناس يســـتحســـنون ما كانوا يســـتقبحون، ويستحلون ما كانوا يحرمون، ويعرفون ما كانوا ينكرون، وما هذه رحمكم الله أخلاق المســـلمين، ولا أفعال من كانوا على بصـــيرة في هذا الدين، ولا من أهل الإيمان به واليقين. [(١)]

٢- **وقال:** فانظروا رحمكم الله من تصحبون، وإلى من تجلسون، واعرفوا كل إنسان بخدنه، وكل أحد بصاحبه، أعاذنا الله وإياكم من صحبة المفتونين، ولا جعلنا وإياكم من إخوان العابثين، ولا من أقران الشياطين، وأستوهب الله لي ولكم عصمة من الضلال وعافية من قبيح الفعال. [(٢)]

٣- **وقال:** فاعتبروا يا أولي الأبصار! فشتان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشـــح على أديانهم، وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم، هذا عبد الله بن مغفل صاحب رسول الله - ﷺ - وســـيد من ســـاداتهم يقطع رحمه ويهجر حميمه حين عارضـــه في حديث رســـول الله - ﷺ -، وحلف أيضـــاً على قطيعته وهجرانه وهو يعلم ما في صـــلة الأقربين وقطيعة الأهلين. وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء سماه رسول الله - ﷺ -

---

[(١)] الإبانة (١/ ١/١٨٨).

[(٢)] الإبانة (١/ ١/٢٠٦)

حكيم هذه الأمة، وأبو سعيد الخدري يظعنون عن أوطانهم وينتقلون عن بلدانهم، ويظهرون الهجرة لإخوانهم لأجل من عارض حديث رسول الله - ﷺ -، وتوقف عن استماع سنته، فياليت شعري كيف حالنا عند الله عَزَّوَجَلَّ، ونحن نلقى أهل الزيغ في صباحنا والمساء، يستهزئون بآيات الله، ويعاندون سنة رسول الله - ﷺ -، حائدين عنها، وملحدين فيها، سلمنا الله وإياكم من الزيغ والزلل.[(١)]

٤- **وقال:** جعلنا الله وإياكم بكتاب الله عاملين، وبسنة نبينا - ﷺ - متمسكين، وللأئمة الخلفاء الراشدين المهديين متبعين، ولآثار سلفنا وعلمائنا مقتفين، وبهدي شيوخنا الصالحين رحمة الله عليهم أجمعين مهتدين، فإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد جعل في كل زمان فترة من الرسل، ودروساً للأثر، ثم هو تعالى بلطفه بعباده ورفقه بأهل عنايته ومن سبقت له الرحمة في كتابه لا يخلي كل زمان من بقايا من أهل العلم، وحملة الحجة، يدعون من ضل إلى الهدى، ويذودونهم عن الردى، يصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بعون الله أهل العمى وبسنة رسول الله - ﷺ - أهل الجهالة والغبا.[(٢)]

---

(١) الإبانة (١/ ١/٢٥٩ - ٢٦٠).

(٢) الإبانة (١/ ١/١٩٧).

٥- وقال: فلله در أقوام دقت فطنهم، وصـفت أذهانهم، وتعالت بهم الهمم في اتباع نبيهم، وتناهت بهم المحبة حتى اتبعوه هذا الاتباع، فبمثل هدي هؤلاء العقلاء -إخواني- فاهتدوا، ولآثارهم فاقتفوا، ترشدوا وتنصروا وتجبروا. [(١)]

٦- وقال: باب ذكر ما نطق به الكتاب في محكم التنزيل بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة أما بعد: فاعلموا يا إخواني وفقنا الله وإياكم للسداد والائتلاف وعصمنا وإياكم من الشتات والاختلاف، أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضين قبلنا، وأنهم تفرقوا واختلفوا فتفرقت بهم الطرق، حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله عَزَّوَجَلَّ والكذب عليه، والتحريف لكتابه والتعطيل لأحكامه، والتعدي لحدوده، وأعلمنا تعالى أن السبب الذي أخرجهم إلى الفرقة بعد الألفة، والاختلاف بعد الائتلاف، هو شدة الحسد من بعضهم لبعض، وبغي بعضهم على بعض، فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحق بعد معرفته، وردهم البيان الواضح بعد صحته، وكل ذلك وجميعه قد قصه الله عَزَّوَجَلَّ علينا وأوعز فيه إلينا، وحذرنا من مواقعته وخوفنا من ملابسته. ولقد رأينا ذلك في كثير من أهل عصرنا وطوائف ممن يدعي أنه من أهل ملتنا، وسأتلو عليكم من نبأ ما قد أعلمناه مولانا الكريم، وما قد علمه إخواننا من أهل القرآن وأهل العلم وكتبة الحديث والسنن وما يكون فيه إن شاء الله بصيرة لمن علمه ونسيه، ولمن غفله أو جهله، ويمتحن الله به من خالفه وجحده،

---

(١) الإبانة (١/ ١/ ٢٤٥)

بألا يجحده إلا الملحدون، ولا ينكره إلا الزائغون. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢١٣]

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٩].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾} [سورة يونس:٩٣].

وقال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾} [سورة الشورى:١٤].

وقال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [سورة البينة:٤-٥].

وقال: إخواني فهذا نبأ قوم فضلهم الله وعلمهم وبصرهم ورفعهم ومنع ذلك آخرين إصرارهم على البغي عليهم والحسد لهم إلى مخالفتهم وعداوتهم ومحاربتهم فاستنكفوا أن يكونوا لأهل الحق تابعين وبأهل العلم مقتدين فصاروا أئمة مضلين ورؤساء في الإلحاد متبوعين رجوعاً عن الحق وطلب الرياسة وحباً للاتباع والاعتقاد والناس في زماننا هذا أسراب كالطير يتبع بعضهم بعضاً لو ظهر لهم من يدعي النبوة مع علمهم بأن رسول الله – ﷺ – خاتم الأنبياء أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً فقد ذكرت ما حضرني من الآيات التي عاب الله فيها المختلفين وذم بها الباغين وأنا الآن أذكر لك الآيات من القرآن التي حذرنا فيها ربنا تعالى من الفرقة

والاختلاف وأمرنا بلزوم الجماعة والائتلاف نصيحة لإخواننا وشفقة على أهل مذهبنا

قال الله تعالى: {وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} [سورة آل عمران:١٠٣]... إلى آخر الآية.

ثم حذرنا من مواقعة ما أتاه من قبلنا من أهل الكتاب فيصيبنا ما أصابهم، فقال تعالى: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾} [سورة آل عمران:١٠٥].

فأخبرنا أنهم عن الحق رجعوا ومن بعد البيان اختلفوا وقال تعالى: : {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [سورة الأنعام:١٥٣].

وقال تعالى: {۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ} [سورة الشورى:١٣].

وقال تعالى: {۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾} [سورة الروم:٣١-٣٢].

فهل بقي رحمكم الله أوضح من هذا البرهان أو أشفى من هذا البيان؟ وقد أعلمنا الله تعالى أنه قد خلق خلقاً للاختلاف والفرقة وحذرنا أن نكون كهم لهم واستثنى أهل رحمته لنواظب على المسألة أن يجعلنا منهم فقال تعالى: قوله تعالى: {وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾} [سورة هود:١١٨-١١٩].

ثم حذر نبيه - ﷺ - أن يتبع أهل الأهواء المختلفين وآراء المتقدمين فقال عَزَّوَجَلَّ: {وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾} [سورة المائدة:٤٩].

وقال: {فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ} [سورة المائدة:٤٨]

وقال: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الجاثية:١٦-١٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ فيما ذم به المخالفين: {فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾} [سورة المؤمنون:٥٣].

- وقال: فإن قال قائل: قد ذكرت نهي النبي - ﷺ - عن الفرقة وتحذيره أمته ذلك وحضه إياهم على الجماعة والتمسك بالسنة وقلت إن ذلك هو أصل المسلمين ودعامة الدين وأن الفرقة الناجية هي واحدة والفرق المذمومة نيف وسبعون فرقة ونحن نرى أن هذه الفرقة الناجية أيضاً فيها اختلاف كثير وتباين في المذاهب ونرى فقهاء المسلمين مختلفين فلكل واحد منهم قول يقوله ومذهب يذهب إليه وينصره ويعيب من خالفه عليه فمالك ابن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام وله أصحاب يقولون بقوله ويعيبون من خالفهم وكذلك الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكذلك سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطائفة من فقهاء العراق وكذلك أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل واحد من هؤلاء له مذهب يخالف فيه غيره

ونرى قوماً من المعتزلة والرافضة وأهل الأهواء يعيبونا بهذا الاختلاف ويقولون لنا: الحق واحد فكيف يكون في وجهين مختلفين؟ فإني أقول له في جواب هذا السؤال: أما ما تحكيه عن أهل البدع مما يعيبون به أهل التوحيد والإثبات من الاختلاف فإني قد تدبرت كلامهم في هذا المعنى فإذا هم ليس الاختلاف يعيبون ولا له يقصدون وإنما هم قوم علموا أن أهل الملة وأهل الذمة والملوك والسوقة والخاصة والعامة وأهل الدنيا كافة إلى الفقهاء يرجعون ولأمرهم يطيعون وبحكمهم يقضون في كل ما أشكل

عليهم وفي كل ما يتنازعون فيه فعلى فقهاء المسـلمين يعولون في رجوع الناس إلى فقهائهم وطاعتهم لعلمائهم ثبات للدين وإضاءة للسبيل وظهور لسنة الرسول وكل ذلك ففيه غيظ لأهل الأهواء واضمحلال للبدع فهم يوهون أمر الفقهاء ويضعفون أصولهم ويطعنون عليهم بالاختلاف لتخرج الرعية عن طاعتهم والانقياد لأحكامهم فيفسد الدين وتترك الصلوات والجماعات وتبطل الزكوات والصدقات والحج والجهاد ويستحل الربا والزنا والخمور والفجور وما قد ظهر مما لا خفاء به على العقلاء فأما أهل البدع -يا أخي رحمك الله- فإنهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويعيبون ما يأتون ويجحدون ما يعلمون ويبصرون القذى في عيون غيرهم وعيونهم تطرف على الأجذال ويتهمون أهل العدالة والأمانة في النقل ولا يتهمون آراءهم وأهواءهم على الظن وهم أكثر الناس اختلافاً وأشدهم تنافياً وتبايناً لا يتفق اثنان من رؤسائهم على قول ولا يجتمع رجلان من أئمتهم على مذهب

فأبو الهذيل يخالف النظام وحسين النجار يخالفهما وهشام الفوطي يخالفهم وثمامة بن أشرس يخالف الكل وهاشم الأوقص وصالح قبة يخالفانهم وكل واحد منهم قد انتحل لنفسه ديناً ينصره ورباً يعبده وله على ذلك أصحاب يتبعونه وكل واحد منهم يكفر من خالفه ويلعن من لا يتبعه وهم في اختلافهم وتباينهم كاختلاف اليهود والنصارى كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة:١١٣].

فاختلافهم كاختلاف اليهود والنصارى، لأن اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله، وفي الكيفية، وفي قدرة الله، وفي عظمته، وفي نعيم الجنة، وفي عذاب النار، وفي البرزخ، وفي اللوح المحفوظ، وفي الرق المنشور، وفي علم الله، وفي القرآن، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي مرسل، إلا بوحي من الله، وليس يعدم من رد العلم في هذه الأشياء إلى رأيه وهواه وقياسه ونظره واختياره؛ من الاختلاف العظيم والتباين الشديد.

وأما الرافضة فأشد الناس اختلافاً وتبايناً وتطاعناً فكل واحد منهم يختار مذهبا لنفسه يلعن من خالفه عليه ويكفر من لم يتبعه، وكلهم يقول: إنه لا صلاة ولا صيام ولا جهاد ولا جمعة ولا عيدين ولا نكاح ولا طلاق ولا بيع ولا شراء؛ إلا بإمام، وإنه من لا إمام له فلا دين له، ومن لم يعرف إمامه فلا دين له، ثم يختلفون في الأئمة، فالإمامية لها إمام تسوده وتلعن من قال: إن الإمام غيره وتكفره، وكذلك الزيدية لها إمام غير إمام الإمامية. وكذلك الإسماعيلة، وكذلك الكيسانية، والبترية، وكل طائفة تنتحل مذهباً وإماماً وتلعن من خالفها عليه وتكفره. ولولا ما نؤثره من صيانة العلم الذي أعلى الله أمره، وشرف قدره، ونزهه أن يخلط به نجاسات أهل الزيغ، وقبيح أقوالهم ومذاهبهم التي تقشعر الجلود من ذكرها، وتجزع النفوس من استماعها، وينزه العقلاء ألفاظهم وأسماعهم عن لفظها؛ لذكرت من ذلك ما فيه عبرة للمعتبرين، ولكنه قد روي عن طلحة بن مصرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: لولا أني على طهارة لأخبرتكم بما تقوله الروافض.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. ولولا أنك قلت إن أهل الزيغ يطعنون على أئمتنا وعلمائنا باختلافهم، فأحببت أن أعلمك أن الذي أنكروه هم ابتدعوه، وأن الذي عابوه هم استحسنوه، ولولا اختلافهم في أصولهم وعقودهم وإيمانهم ودياناتهم؛ لما دنسنا ألفاظنا بذكر حالهم.

فأما الاختلاف فهو ينقسم على وجهين: أحدهما اختلاف، الإقرار به إيمان ورحمة وصواب، وهو الاختلاف المحمود الذي نطق به الكتاب ومضت به السنة، ورضيت به الأمة، وذلك في الفروع والأحكام التي أصولها ترجع إلى الإجماع والائتلاف. واختلاف هو كفر وفرقة وسخطة وعذاب يؤول بأهله إلى الشتات، والتضاغن والتباين والعداوة، واستحلال الدم والمال، وهو اختلاف أهل الزيغ في الأصول والاعتقاد والديانة. فأما اختلاف أهل الزيغ، فقد بينت لك كيف هو، وفيما اختلفوا فيه. وأما اختلاف أهل الشريعة الذي يؤول بأهله إلى الإجماع والألفة، والتواصل والتراحم؛ فإن أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة؛ بأن الإيمان قول وعمل ونية وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، وعلى أن الله خالق الخير والشر ومقدرهما، وعلى أن الله يرى في القيامة، وعلى أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان ببقاء الله، وأن الله على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه محيط بالأشياء، وأن الله قديم لا بداية له ولا نهاية ولا غاية،

بصــفاته التامة، لم يزل عالماً ناطقاً ســميعاً بصــيراً، حياً حليماً، قد علم ما يكون قبل أن يكون، وأنه قدر المقادير قبل خلق الأشياء.

ومجمعون على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وعلى تقديم الشــيخين، وعلى أن العشرــة في الجنة جزماً وحتماً لا شــك فيه، ومجمعون على الترحم على جميع أصحاب رسول الله – ﷺ –، والاستغفار لهم ولأزواجه وأولاده وأهل بيته، والكف عن ذكرهم إلا بخير، والإمساك وترك النظر فيما شـجر بينهم، فهذا وأشـباهه مما يطول شرحه لم يزل النـاس مذ بعث الله نبيه – ﷺ – إلى وقتنا هـذا مجمعين عليه في شرق الأرض وغربها، وبرها وبحرها وسـهلها وجبلها، يرويه العلماء رواة الآثار وأصـحاب الأخبار، ويعرفه الأدباء والعقلاء، ويجمع على الإقرار به الرجال والنســوان، والشـيب والشــبان، والأحداث والصــبيان، في الحاضرة والبادية، والعرب والعجم، لا يخالف ذلك ولا ينكره ولا يشـذ عن الإجماع مع الناس فيه إلا رجل خبيث زائغ، مبتدع محقور مهجور مـدحور، يهجره العلماء ويقطعـه العقلاء، إن مرض لم يعودوه، وإن مـات لم يشــهدوه. ثم أهل الجماعة مجمعون بعد ذلك على أن الصــلاة خمس، وعلى أن الطهارة والغســل من الجنابة فرض، وعلى الصــيام والزكاة والحج والجهاد، وعلى تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والربا والزنا وقتل النفس المؤمنة بغير حق، وتحريم شــهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وما يطول الكتاب بشرـحه، ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أصل الدين واتفاقهم على شريعة المسلمين، اختلافاً لم يصرـبهم إلى فرقة ولا شتات، ولا معاداة ولا تقاطع وتباغض، فـاختلفوا في فروع الأحكـام والنوافل التـابعة للفرائض، فكـان لهم

وللمسلمين فيه مندوحة، ونفس وفسحة ورحمة، ولم يعب بعضهم على بعض ذلك، ولا أكفره ولا سبه ولا لعنه، ولقد اختلف أصحاب رسول الله - ﷺ - في الأحكام اختلافاً ظاهراً، علمه بعضهم من بعض، وهم القدوة والأئمة والحجة.

فكان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن الجد يرث ما يرثه الأب ويحجب من يحجبه الأب، فخالفه على ذلك زيد بن ثابت وخالفهما علي بن أبي طالب، وخالفهم ابن مسعود، وخالف ابن عباس جميع أصحاب رسول الله - ﷺ - في مسائل من الفرائض، وكذلك اختلفوا في أبواب من العدة والطلاق، وفي الرهون والديون والوديعة والعارية، وفي المسائل التي المصيب فيها محمود مأجور، والمجتهد فيها برأيه المعتمد للحق إذا أخطأ فمأجور أيضاً، غير مذموم، لأن خطأه لا يخرجه من الملة، ولا يوجب له النار، وبذلك جاءت السنة عن المصطفى - ﷺ -[1]

وقال: فاختلاف الفقهاء -يا أخي، رحمك الله- في فروع الأحكام وفضائل السنن رحمة من الله بعباده، والموفق منهم مأجور، والمجتهد في طلب الحق إن أخطأه غير مأزور، وهو يحسن نيته، وكونه في جملة الجماعة في أصل الاعتقاد والشريعة مأجور، قال النبي - ﷺ -: «بعثت بالحنيفية السمحة»

[1] الإبانة (٢/ ٤/٥٥٣ - ٥٥٩)

وإن تأول متأول من الفقهاء مذهباً في مسألة من الأحكام خالف فيها الإجماع، وقعد عنه فيها الاتباع، كان منتهى القول بالعتب عليه أخطأت، لا يقال له كفرت ولا جحدت ولا ألحدت، لأن أصله موافق للشريعة وغير خارج عن الجماعة في الديانة.

- وقال: فالإصابة في الجماعة توفيق ورضوان، والخطأ في الاجتهاد عفو وغفران، وأهل الأهواء اختلفوا في الله، وفي الكيفية، وفي الأبنية، وفي الصفات، وفي الأسماء، وفي القرآن، وفي قدرة الله، وفي عظمة الله، وفي علم الله، تعالى الله عما يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

- وقال: فقد ذكرت من الرواية عن رسول الله - ﷺ -، وما أخبر به من تفرق هذه الأمة، ومضاهاتها في تفرقها اليهود والنصارى والأمم السالفة، ما في بعضه كفاية لأهل الحق والرعاية، فإن قال قائل: قد صح عندنا من كتاب ربنا ومن قول نبينا - ﷺ -؛ أن الأمم الماضية من أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا وكفر بعضهم بعضاً ومثل ذلك فقد حل بهذه الأمة، حتى قد كثرت فيهم الأهواء، وأصحاب الآراء والمذاهب، وكل ذلك فقد رأيناه وشاهدناه، فنريد أن نعرف هذه الفرق المذمومة لنجتنبها، ونسأل مولانا الكريم أن يعصمنا منها ويعيذنا مما حل بأهلها، الذين استهوتهم الشياطين، فأصبحوا حيارى، عن طريق الحق صادفين.

قلت: فاعلم رحمك الله أن لهذه الفرق والمذاهب كلها أصولاً أربعة فكلها عن الحق حائدة، وللإسلام وأهله معاندة، وعن أربعة أصول يتفرقون، ومنها يتشعبون، وإليها

يرجعون، ثم تتشـعب بهم الطرق وتأخذهم الأهواء، وقبيح الآراء حتى يصـيروا في التفرق إلى ما لا يحصى، فأما الأربعة الأصـول، التي بها يعرفون، وإليها يرجعون، فهو ما حدثنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد وأبو عمر عبيد الله بن محمد بن عبيد بن مسبح العطار وأبو بكر محمد ابن الحسـين وأبو يوسـف يعقوب بن يوسـف، قالوا: حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، قال: حدثنا المسيب بن واضح، قال: سـمعت يوسف بن أسباط يقول: أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج والقدرية، والمرجئة. ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال رسول الله - ﷺ -: إنها الناجية.

وحدثنا أبو القاسـم حفص بن عمر قال: حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي قال: حدثنا المسيب بن واضح السلمي الحمصي، قال: أتيت يوسف بن أسباط فسلمت عليه وانتسبت إليه، وقلت له: يا أبا محمد إنك بقية أسلاف العلم الماضين وإنك إمام سنة وأنت على من لقيك حجة، ولم آتك لسـمع الأحاديث ولكن لأسـألك عن تفسـيرها، وقد جاء هذا الحديث عن النبي - ﷺ - أن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسـبعين فرقة، وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، فأخبرني مَن هذه الفرق حتى أتوقاها، فقال لي أصـلها أربعة: القدرية والمرجئة والشـيعة وهم الروافض والخوارج، فثماني عشرة فرقة في القدرية، وثماني عشرة في المرجئة، وثماني عشرة في الخوارج، وثماني عشرة في الشـيعة، ثم قال: ألا أحدثك بحديث لعل الله أن ينفعك به، قلت: بلى يرحمك الله، قال: أسـلم رجل على عهد عمرو بن مرة فدخل مسـجد الكوفة، فجعلت أجلس إلى

قوم أصحاب أهواء فكل يدعو إلى هواه، وقد اختلفوا علي فما أدري بأيها أتمسك فقال له عمرو بن مرة: اختلفوا عليك في الله عَزَّوَجَلَّ أنه ربهم؟ قال: لا، قال: اختلفوا عليك في محمد - ﷺ - أنه نبيهم؟ قال: لا، قال: فاختلفوا عليك في الكعبة أنها قبلتهم؟ قال: لا، قال: فاختلفوا عليك في شهر رمضان أنه صومهم؟ قال: لا، قال: فاختلفوا عليك في الصلوات الخمس والزكاة والغسل من الجنابة؟ قال: لا، قال: فانظر هذا الذي اجتمعوا عليه فهو دينك ودينهم فتمسك به وانظر تلك الفرق التي اختلفوا عليك فيها فاتركهم فليست من دينهم في شيء. قال أبو حاتم الرازي: حدثت عن عامر، عن إبراهيم الأصبهاني، قال: حدثنا يعقوب الأشعري، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين والنصارى على اثنتين وسبعين وأنتم على ثلاث وسبعين وإن من أضلها وشرها وأخبثها الشيعة الذين يشتمون أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وحدثنا أبو القاسم حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن عيسى، قال: قال حفص بن حميد، قلت لعبد الله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة. قال: قلت يا أبا عبد الرحمن لم أسمعك تذكر الجهمية، قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين.

- **وقال:** فقد ذكرت في هذا الباب ما قاله المصطفى - ﷺ - وأمر به أصحابه والتابعين بعدهم بإحسان من لزوم السنة واتباع الآثار ما فيه بلاغ وكفاية لمن شرح الله صدره ووفقه لقبوله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ضمن لمن أطاع الله ورسوله خير الدنيا والآخرة، فإنه قال: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾} [سورة النساء:٦٩-٧٠]. وتوعد من خالف ذلك وعدل عنه بما نستجير بالله منه ونعوذ به ممن كان موصوفاً به، فإنه قال: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾} [سورة النساء:١١٥-١١٦]. فرحم الله عبداً لزم الحذر واقتفى الأثر ولزم الجادة الواضحة وعدل عن البدعة الفاضحة.[1]

- **وقال:** أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة والأهواء المتبعة والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة،

---

(١) الإبانة (١/ ٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥).

وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة. [(١)]

- **وقال:** اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن

فهمه. والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته. [(٢)]

- **وقال:** فالعجب يا إخواني رحمكم الله لقوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدى، فذهبت تند محاضره في أودية الردى، تركوا ما قدمه الله عَزَّوَجَلَّ في وحيه وافترضه على خلقه، وتعبدهم بطلبه وأمرهم بالنظر والعمل به، وأقبلوا على ما لم يجدوه في كتاب ناطق ولا تقدمهم فيه سلف سابق، فشغلوا به وفرغوا له آراءهم وجعلوه ديناً يدعون إليه ويعادون من خالفهم عليه، أما عَلِمَ الزائغون مفاتيح أبواب الكفر ومعالم أسباب الشرك، التكلف لما لم تحط الخلائق به علماً به، ولم يأت القرآن بتأويله ولا أباحت السنة

---

(١) الإبانة (١/ ٢/٣٨٨ - ٣٨٩)

(٢) الإبانة (١/ ٢/٣٩٠)

النظر فيه، فتزيد الناقص الحقير والأحمق الصغير بقوته الضعيفة، وعقله القصير، أن يهجم على سر الله المحجوب، ويتناول علمه بالغيوب، يريدها لنفسه وطوى عليها علمها دون خلقه، فلم يحيطوا من علمها إلا بما شاء، ولا يعلمون منها إلا ما يريد، فكل ما لم ينزل الوحي بذكره، ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله ومخزون غيبه، وخفي أقداره فليس للعباد أن يتكلفوا من علمه ما لا يعلمون، ولا يتحملوا من نقله ما لا يطيقون، فإنه لن يعدوا رجل كلف ذلك نظره وقلب فيه فكره أن يكون كالناظرين في عين الشمس ليعرف قدرها، أو كالمرتمي في ظلمات البحور ليدرك قعرها، فليس يزداد على المضي في ذلك إلا بعداً، ولا على دوام النظر في ذلك إلا تحيراً، فليقبل المؤمن العاقل ما يعود عليه نفعه، ويترك إشغال نظره وإعمال فكره في محاولة الإحاطة بما لم يكلفه، ومرام الظفر بما لم يطوقه، فيسلك سبيل العافية ويأخذ بالمندوحة الواسعة، ويلزم الحجة الواضحة، والجادة السابلة، والطريق الآنسة، فمن خالف ذلك وتجاوزه إلى الغمط بما أمر به والمخالفة إلى ما ينهى عنه، يقع والله في بحور المنازعة وأمواج المجادلة، ويفتح على نفسه أبواب الكفر بربه والمخالفة لأمره والتعدي لحدوده، والعجب لمن خلق من نطفة من ماء مهين فإذا هو خصيم مبين، كيف لا يفكر في عجزه عن معرفة خلقه، أما يعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخذ عليكم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلا الحق، فسبحان الله أنى تؤفكون. حدثني ابن الصواف، قال: سمعت أبي يقول: سمعت بعض العلماء يقول: لو كلف الله هؤلاء ما كلفوه أنفسهم من البحث والتنقير لكان من أعظم ما افترضه عليهم. قال ابن بطة: فالزموا رحمكم الله الطريق الأقصد، والسبيل الأرشد، والمنهاج الأعظم من معالم دينكم وشرائع توحيدكم التي اجتمع عليها المختلفون،

واعتدل عليها المعترفون: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾} [سورة الأنعام:١٥٣-١٥٤]. وترك الدخول في الضيق الذي لم نخلق له. [(١)]

- **وقال:** الله الله إخواني يا أهل القرآن، ويا حملة الحديث، لا تنظروا فيما لا سبيل لعقولكم إليه، ولا تسألوا عما لم يتقدمكم السلف الصالح من علمائكم إليه، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا قوة بأبدانكم الضعيفة، ولا تنقروا ولا تبحثوا عن مصون الغيب ومكنون العلوم، فإن الله جعل للعقول غاية تنتهي إليها، ونهاية تقصر عندها، فما نطق به الكتاب وجاء به الأثر فقولوه، وما أشكل عليكم فكِلوه إلى عالمه، ولا تحيطوا الأمور بحيط العشوا حنادس الظلماء بلا دليل هاد، ولا ناقد بصير، أتراكم أرجح أحلاماً وأوفر عقولاً من الملائكة المقربين، حين قالوا: {قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [سورة البقرة:٣٢] [(٢)]

---

(١) الإبانة (١/ ٢/٤٢٠ - ٤٢١)

(٢) الإبانة (١/ ٢/٤٢٣ - ٤٢٤)

- وقال: قد أعلمتك يا أخي -عصمني الله وإياك من الفتن ووقانا وإياك جميع المحن- أن الذي أورد القلوب حمامها وأورثها الشك بعد اتقائها هو البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا تؤمن فتنته وقد كفي العقلاء مؤنته وأن الذي أمرضها بعد صحتها وسلبها أثواب عافيتها إنما هو من صحبة من تغر ألفته وتورد النار في القيامة صحبته أما البحث والسؤال فقد شرحت لك ما إن أصغيت إليه -مع توفيق الله- عصمك ولك فيه مقنع وكفاية وأما الصحبة فسأتلو عليك من نبأ حالها ما إن تمسكت به نفعك وإن أردت الله الكريم به وفقك قال الله عَزَّوَجَلَّ فيما أوصى به نبيه - ﷺ - وحذره منه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٦٨].

ثم أذكره ما حذره وأعاد له ذكر ما أنذره فقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة النساء:١٤٠].[1]

---

(١) الإبانة (٢/ ٣/ ٤٢٩ - ٤٣٠)

– **وقال ابن بطة** –عقب إيراده لحديث النبي – ﷺ –: «من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما اســتطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحســب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات»

هذا قول الرسول – ﷺ – وهو الصادق المصدوق فالله الله معشر المسلمين لا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه فإنهم أشد فتنة من الدجال وكلامهم ألصق من الجرب وأحرق للقلوب من اللهب ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم [١]

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثاراً على ذلك تجدها مبثوثة بحمد الله في هذه المسيرة المباركة

---

(١) الإبانة (٢/ ٣/ ٤٧٠)

وهنا أقوال مهمة في

الجدل والخصومة وأنواع الناس في ذلك

- **قال ابن بطة:** فاعلم يا أخي أني لم أر الجدال والمناقضة والخلاف والمماحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ولا من أخلاق العقلاء ولا من مذاهب أهل المروءة ولا مما حكي لنا عن صالحي هذه الأمة ولا من سير السلف ولا من شيمة المرضيين من الخلف وإنما هو لهو يتعلم ودراية يتفكه بها ولذة يستراح إليها ومهارشة العقول وتذريب اللسان بمحق الأديان وضراوة على التغالب واستمتاع بظهور حجة المخاصم وقصد إلى قهر المناظر والمغالطة في القياس وبهت في المقاولة وتكذيب الآثار وتسفيه أحلام الأبرار ومكابرة لنص التنزيل وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعقدة الإجماع وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة وشكوك تدخل على الأمة وضراوة السلاطة وتوغير للقلوب وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا الله وإياكم من ذلك وأعاذنا من مجالسة أهله [(١)]

- **وقال:** فأهل الأهواء في تكفير بعضهم لبعض مصيبون لأن اختلافهم في شرائع شرعتها أهواؤهم وديانات استحسنتها آراؤهم فتفرقت بهم الأهواء وشتت بهم الآراء

---

(١) الإبانة (٢/ ٣/ ٥٣١ - ٥٣٢).

وحل بهم البلاء وحرموا البصيرة والتوفيق فزلت أقدامهم عن محجة الطريق فالمخطئ منهم زنديق والمصيب على غير أصل ولا تحقيق [(١)]

- **وقال: فإن قال قائل:** قد حذرتنا الخصومة والمراء والجدال والمناظرة وقد علمنا أن هذا هو الحق وإن هذه سبيل العلماء وطريق الصحابة والعقلاء من المؤمنين والعلماء المستبصرين فإن جاءني رجل يسألني عن شيء من هذه الأهواء التي قد ظهرت والمذاهب القبيحة التي قد انتشرت ويخاطبني منها بأشياء يلتمس مني الجواب عليها وأنا ممن قد وهب الله الكريم لي علماً بها وبصراً نافذاً في كشفها أفأتركه يتكلم بما يريد ولا أجيبه وأخليه وهواه وبدعته ولا أردّ عليه قبيح مقالته

فإني أقول له: اعلم يا أخي رحمك الله أن الذي تبلى به من أهل هذا الشأن لن يخلو أن يكون **واحداً من ثلاثة**:

١-**إما رجلاً** قد عرفت حسن طريقته وجميل مذهبه ومحبته للسلامة وقصده طريق الاستقامة وإنما قد طرق سمعه من كلام هؤلاء الذين قد سكنت الشياطين قلوبهم فهي تنطق بأنواع الكفر على ألسنتهم وليس يعرف وجه المخرج مما قد بلي به فسؤاله سؤال مسترشد يلتمس المخرج مما بلي به والشفا مما أوذي إلى علمك حاجته إليك حاجة الصادي إلى الماء الزلال وأنت قد استشعرت طاعته وأمنت مخالفته فهذا الذي

---

(١) الإبانة (٢/ ٣/ ٥٣٥ - ٥٣٦)

قد افترض عليك توفيقه وإرشاده من حبائل كيد الشياطين وليكن ما ترشده به وتوقفه عليه من الكتاب والســنة والآثار الصــحيحة من علماء الأمة من الصــحابة والتابعين وكل ذلك بالحكمة والموعظة الحســنة وإياك والتكلف لما لا تعرفه وتمحل الرأي والغوص على دقيق الكلام فإن ذلك من فعلك بدعة وإن كنت تريد به الســنة فإن إرادتك للحق من غير طريق الحق باطل وكلامك على الســنة من غير الســنة بدعة ولا تلتمس لصاحبك الشفاء بسقم نفسك ولا تطلب صلاحه بفسادك فإنه لا ينصح الناس من غش نفســه ومن لا خير فيه لنفســه لا خير فيه لغيره فمن أراد الله وفقه وسدده ومن اتقى الله أعانه ونصره

وجاء عن أبي بكر بن مســلم الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول وقد ذكر يوما المخالفين وأهل البدع فقال: «قليل التقوى يهزم العساكر والجيوش»

وعن محمد بن سيرين «ينهى عن الجدال إلا رجلا إن كلمته طمعت في رجوعه»

وجاء عن محمد بن النضرــ الحارثي قال: قلت للأوزاعي: " آمر بالمعروف؟ قال: من يقبل منك قال الشــيخ: صــدق الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهكذا قال علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا إمرة لمن لا يطاع

فإذا كان السائل لك هذه أوصافه وجوابك له على النحو الذي قد شرحته فشأنك به ولا تأل فيه جهدا فهذه سبيل العلماء الماضين الذين جعلهم الله أعلاما في هذا الدين

فهذا أحد الثلاثة

ورجل آخر يحضر في مجلس أنت فيه حاضر تأمن فيه على نفسك ويكثر ناصروك ومعينوك فيتكلم بكلام فيه فتنة وبلية على قلوب مستمعيه ليوقع الشك في القلوب لأنه هو ممن في قلبه زيغ يتبع المتشابه ابتغاء الفتنة والبدعة وقد حضر معك من إخوانك وأهل مذهبك من يسمع كلامه إلا أنه لا حجة عندهم على مقابلته ولا علم لهم بقبيح ما يأتي به فإن سكت عنه لم تأمن فتنته بأن يفسد بها قلوب المستمعين وإدخال الشك على المستبصرين فهذا أيضا مما ترد عليه بدعته وخبيث مقالته وتنشر ما علمك الله من العلم والحكمة ولا يكن قصدك في الكلام خصومته ولا مناظرته وليكن قصدك بكلامك خلاص إخوانك من شبكته فإن خبثاء الملاحدة إنما يبسطون شباك الشياطين ليصيدوا بها المؤمنين فليكن إقبالك بكلامك ونشر علمك وحكمتك وبشر وجهك وفصيح منطقك على إخوانك ومن قد حضر معك لا عليه حتى تقطع أولئك عنه وتحول بينهم وبين استماع كلامه بل إن قدرت أن تقطع عليه كلامه بنوع من العلم تحول به وجوه الناس عنه فافعل

حدثني أبو صالح قال: حدثنا محمد بن داود أبو جعفر البصروي قال: حدثنا مثنى بن جامع قال: سمعت بشر بن الحارث سئل عن الرجل يكون مع هؤلاء أهل الأهواء في موضع جنازة أو مقبرة فيتكلمون ويعرضون فترى لنا أن نجيبهم فقال: «إن كان معك من لا يعلم فردوا عليه لئلا يرى أولئك أن القول كما يقولون وإن كنتم أنتم وهم فلا تكلموهم ولا تجيبوهم فهذان رجلان قد عرفتك حالهما ولخصت لك وجه الكلام لهما وثالث مشئوم قد زاغ قلبه وزلت عن سبيل الرشاد قدمه

فعشيت بصيرته واستحكمت للبدعة نصرته يجهده أن يشككك في اليقين ويفسد عليك صحيح الدين»

فجميع الذين رويناه وكل ما حكيناه في هذا الباب لأجله وبسببه فإنك لن تأتي في باب حصر.منه ووجيع مكيدته أبلغ من الإمساك عن جوابه والإعراض عن خطأ به لأن غرضه من مناظرتك أن يفتنك فتتبعه فيملك وييأس منك فيشفي غيظه أن يسمعك في دينك ما تكرهه فأخسئه بالإمساك عنه وأذله بالقطيعة له أليس قد أخبرتك بقول الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال له القائل: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين فقال له الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت قد أضللت دينك فالتمسه وأخبرتك بقول مالك حين جاءه بعض أهل الأهواء فقال له: أما أنا فعلى بينة من ربي وأما أنت فشاك فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه فهل يأتي في جواب المخالف من جميع الحجج حجة هي أسخن لعينه ولا أغيظ لقلبه من مثل هذه الحجة؟ والجواب: أما سمعت قول مصعب بن سعد: لا تجالس مفتونا فإنه لن يخطئك إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتتبعه وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه " وأيوب السختياني حين قال له الرجل: أكلمك بكلمة فولى عنه وأشار بإصبعه: ولا نصف كلمة وعبد الرزاق حين قال لابن أبي يحيى: القلب ضعيف وليس الدين لمن غلب

حدثنا أبو طلحة أحمد بن محمد الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن خبيق قال: حدثنا عبد الله بن داود قال: قال الأعمش: السكوت جواب حدثنا ابن دريد قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: سمعت شبيب بن شيبة يقول: «من صبر على

كلمة حسمها ومن أجاب عنها استدرها فإن كنت ممن يريد الاستقامة ويؤثر طريق السلامة فهذه طريق العلماء وسبيل العقلاء ولك فيما انتهى إليك من علمهم وفعلهم كفاية وهداية وإن كنت ممن قد زاغ قلبه وزلت قدمه فأنت متحيز إلى فئة الضلالة وحزب الشيطان قد أنست بما استوحش منه العقلاء ورغبت فيما زهد فيه العلماء قد جعلت لقوم بطانتك وخزانتك قد استبشرت جوارحك بلقائهم وأنس قلبك بحديثهم فقد جعلت ذريعتك إلى مجالستهم وطريقك إلى محادثتهم إنك تريد بذلك مناظرتهم وإقامة الحجة عليهم ورد باطلهم إليهم فإن تك بهرجتك خفيت على أهل الغفلة من الآدميين فلن يخفى ذلك على من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»

حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الراجيان قال: حدثنا أبو نصر فتح بن شخرف قال: حدثنا عبد الله بن خبيق قال: بلغنا أن الله عَزَّوَجَلَّ أوحى إلى موسى: يا موسى «قل للمبهرج علي دينه ميعاد ما بيني وبينك الكور والسباك ملك»

حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر قال: حدثنا أبو حاتم الرازي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضيل قال: سمعت مصعب بن عبد الله الزبيري ينشد:

أأقعد بعدما رجفت عظامي ... وكان الموت أقرب ما يليني

أناظر كل مبتدع خصيم ... وأجعل دينه عرضا لديني

فأترك ما علمت لرأي غيري ... وليس الرأي كالعلم اليقين

وقد سنت لنا سنن قدامى ... يلحن بكل فج أو أحين

وما أنا والخصومة وهي لبس ... تفرق في الشمال وفي اليمين

وما عوض لنا منهاج جهم ... بمنهاج ابن آمنة الأمين»

أملى علي أبو عمر النحوي وقرأته عليه وقال: حدثنا المبرد قال: أنشدني الرياشي لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين: «

يا سائلي عن مقالة الشيع ... وعن صنوف الأهواء والبدع

دع من يقول الكلام ناحية ... فما يقول الكلام ذو ورع

كل أناس بزيهم حسن ... ثم يصيرون بعد للشيع

أكثر ما فيه أن يقال له ... لم يك في قوله بمنقطع»

حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا أبو حاتم قال: قال الحسن بن عبد العزيز الجروي كان الشافعي " ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول أحدهم: إذا خالفه أخوه: قد كفرت والعلم إنما يقال فيه: أخطأت

- **قال ابن بطة:** فإن قال قائل فهذا النهي والتحذير عن الجدل في الأهواء والمماراة لأهل البدع قد فهمناه ونرجو أن تكون لنا فيه عظة ومنفعة فما نصنع بالجدل والحجاج فيما يعرض من مسائل الأحكام في الفقه فإنا نرى الفقهاء وأهل العلم يتناظرون على ذلك كثيرا في الجوامع والمساجد ولهم بذلك حلق ومساجد فإني أقول له: هذا لست أمنعك منه ولكني أذكر لك الأصل الذي بنى المسلمون عليه في هذا المعنى كيف أسسوه ووضعوه فمن كان ذلك الأصل أصله وهو قصده ومعوله فالحجاج والمناظرة له مباحة وهو مأجور ثم أنت أمين الله على نفسك فهو المطلع على سرك فاعلم رحمك الله: أن أصل الدين النصيحة وليس المسلمون إلى شيء من وجوه النصيحة أفقر ولا أحوج ولا هي لبعضهم على بعض أفرض ولا ألزم من النصيحة في تعليم العلم الذي هو قوام الدين وبه أديت الفرائض إلى رب العالمين

فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام تصحيح النية بالنصيحة واستعمال الإنصاف والعدل ومراد الحق الذي به قامت السماوات والأرض فمن النصيحة أن تكون تحب صواب مناظرك ويسوؤك خطأه كما تحب الصواب من نفسك ويسوؤك الخطأ منها فإنك إن لم تكن هكذا كنت غاشّاً لأخيك ولجماعة المسلمين وكنت محباً أن يخطأ في دين الله وأن يكذب عليه ولا يصيب الحق في الدين ولا يصدق فإذا كانت نيتك أن يسرك صواب مناظرك ويسوؤك خطأه فأصاب وأخطأت لم يسؤك الصواب ولم تدفع ما أنت تحبه بل سرك ذلك وتتلقاه بالقبول

والسرور والشكر لله عَزَّوَجَلَّ حين وفق صاحبك لما كنت تحب أن تسمعه منه فإن أخطأ ساءك ذلك وجعلت همتك التلطف لتزيله عنه لأنك

رجل من أهل العلم يلزمك النصيحة للمسلمين بقول الحق فإن كان عندك بذلته وأحببت قبوله وإن كان عند غيرك قبلته ومن دَلَّك عليه شكرت له فإذا كان هذا أصلك وهذه دعواك فأين تذهب عما أنت له طالب وعلى جمعه حريص ولكنك والله يا أخي تأبى الحق وتنكره إذا سبقك مناظرك إليه وتحتال لإفساد صوابه وتصويب خطئك وتغتاله وتلقي عليه التغاليظ وتظهر التشنيع ولا سيما إن كان في عينك وعند أهل مجلسك أنه أقل علماً منك فذاك الذي تجحد صوابه وتكذب حقه ولعل الأنفة تحملك إذا هو احتج عليك بشيء خالف قولك فقال لك: قال رسول الله - ﷺ -: قلت لم يقله رسول الله فجحدت الحق الذي تعلمه ورددت السنة فإن كان مما لا يمكنك إنكاره أدخلت على قول رسول الله - ﷺ - علة تغير بها معناه وصرفت الحديث إلى غير وجهه فإرادتك أن يخطأ صاحبك خطأ منك واغتنامك بصوابه غش فيك وسوء نية في المسلمين

فاعلم يا أخي أن من كره الصواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه وينسيه ما ذكره بل يخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه لأن الحق من رسول الله إليك افترض عليك طاعته فمن سمع الحق فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبرين على الله ومن نصر الخطأ فهو من حزب الشيطان فإن قلت أنت الصواب وأنكره خصمك ورده عليك كان ذلك أعظم لأنفتك وأشد لغيظك وحنقك وتشنيعك

وإذاعتك وكل ذلك مخالف للعلم ولا موافق للحق بلغني عن الحسن بن عبد العزيز الجروي المصري أنه قال: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطأ وما في ظني علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولا ينسب إلي وبلغني عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أؤجر عليه ولا يحمدونني

وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو الأحوص قال: سمعت حسينا الزعفراني يقول: سمعت الشافعي يحلف وهو يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة وما ناظرت أحداً ما فأحببت أن يخطئ أفهكذا أنت يا أخي بالله عليك؟ إن ادعيت ذلك فقد زعمت أنك خير من الأخيار وبدل من الأبدال والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبة لا مناظرة ومكايدة لا مناصحة ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كثر وانتشر في كثير من البلدان فمما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب الغلبة ونصرة الخطأ أن تحمر وجوههم وتدر عروقهم وتنتفخ أوداجهم ويسيل لعابهم ويزحف بعضهم إلى بعض حتى ربما لعن بعضهم بعضاً وربما بزق بعضهم على بعض وربما مد أحدهم يده إلى لحية صاحبه ولقد شهدت حلقة بعض المتصدرين في جامع المنصور فتناظر أهل مجلسه بحضرته فأخرجهم غيظ المناظرة وحمية المخالفة إلى أن قذف بعضهم زوجة صاحبه ووالدته فحسبك بهذه الحال بشاعة وشناعة على سفه الناس وجهالهم فكيف بمن تسمى بالعلم وترشح للإمامة والفتيا ولقد رأيت المناظرين في قديم الزمان وحديثه فما رأيت ولا حدثت ولا بلغني أن مختلفين تناظرا في

شيء ففلجت حجة أحدهما وظهر صوابه وأخطأ الآخر وظهر خطؤه فرجع المخطئ عن خطأه ولا صبا إلى صواب صاحبه ولا افترقا إلا على الاختلاف والمباينة وكل واحد منهما متمسك بما كان عليه ولربما علم أنه على الخطأ فاجتهد في نصرته وهذه أخلاق كلها تخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من علماء الأمة

وأختم بهذا القول في باب الرجوع للحق والإنقياد إليه لن بلغه

جاء في ﴿آداب الشافعي ومناقبه﴾ (ص١٣٦):

قَالَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ يَقُولُ: ﴿جَالَسْتُ الشَّافِعِيَّ بِمَكَّةَ، فَتَذَاكَرْنَا فِي كِرَى بُيُوتِ مَكَّةَ، وَكَانَ يُرَخِّصُ فِيهِ، وَكُنْتُ لا أُرَخِّصُ فِيهِ، فَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ حَدِيثًا، وَسَكَتَ، وَأَخَذْتُ أَنَا فِي الْبَابِ أَسْرُدُ﴾.

فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهُ، قُلْتُ لِصَاحِبٍ لِي مِنْ أَهْلِ بْنِ مَرْوَ بِالْفَارِسِيَّةِ: مَرْدَكَ مَا لا نِيسْت قَرْيَةٌ بِمَرْوَ، فَعَلِمَ أَنِّي رَاطَنْتُ صَاحِبِي بِسَيِّءٍ هُجْنَةٍ فِيهِ، فَقَالَ لِي: أَتُنَاظِرُ؟ قُلْتُ: وَلِلْمُنَاظَرَةِ جِئْتُ.

قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [الحشر: ٨]، نَسَبَ الدَّارَ إِلَى مَالِكِهَا؟ أَوْ غَيْرِ مَالِكِهَا؟ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: ﴿مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَ﴾ هَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ لَنَا مِنْ رِبَاعٍ "، نَسَبَ الدَّارَ إِلَى أَرْبَابِهَا؟ أَوْ غَيْرِ أَرْبَابِهَا؟وَقَالَ لِي: اشْتَرَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَارَ السِّـــجْنِ مِنْ مَالِكٍ، أَوْ مِنْ غَيْرِ مَالِكٍ؟ فَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ **قَدْ لَزِمَتْنِي قُمْتُ**